ابن جبير الأندلسيّ شاعراً

منجد مصطفى بهجت

تمهيد :

يزخر تراثنا الأدبي بكبار الأعلام والأفذاذ ممن تعددت ميادين نتاجهم الأدبي، وأحد هؤلاء ابن جبير الاندلسي، الذي شاعت رحلته لدى جمهرة المثقفين . فاشتهر جغرافياً وواحداً من اشهر رحالي القرون الوسطى ، وعرف بالترسل في الكتابة كذلك . وحين اكبت الدراسات على رحلته ونثره .. لم تول شاعريته قدرها من الأهمية .

فأردت في هذا البحث ان اجلو هذا الجانب ، بعد أن وقفت على اكثر اشعاره مبثوثة في المصادر التاريخية والادبية ، فعرّفت بحياته وعصره ، ووقفت عند شخصيته واخلاقه وعرضت لرحلته ، كل هذا على صورة موجزة ثم وقفت عند شعره بشيء من التأني عارضاً لأغراضه ، ولأبرز سمات شعره .. ثم أردفت البحث بمجموع شعره .

حياته وعصره :

هو محمد بن احمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني . كنيته ابو الحسين وأبو الحسن(١) البلنسي الشاطبي (نزيل شاطبة) الاسكندراني(٢). كان جده عبد السلام ابن جبير قد دخل الاندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري في المحرم سنة ثلاث وعشرين ومئة للهجرة. فنزل ابوه شاطبة ثم استوطن هو جيان فغرناطة ،ففاس ثم الاسكندرية . كذلك أقام في سبتة ومالقة في اوقات مختلفة (٣) والكناني نسبة إلى كنانة ، والمنتسبون إلى كنانة من العلماء والفضلاء كثيرون في الاندلس(٤) وقد تصحفت النسبة عند ابي الجزرى (٥) إلى (الكتاني) وكذلك عند حاجي خليفة (٦) فسمى رحلته « رحلة الكتاني » .

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤ ، التكملة لكتاب الصلة ٥٩٩/٢ الذيل والتكملة ٥٩٥/٢/٥ وكنيته بأبي الحسن جاءت في المغرب ٣٨٤/٢ ورحلة العبدري (ط الجزائر) ، وفي ايضاح المكنون ٦٢٣/٢ ٦٢٣/٢ (أبو عبدالله) .

(٢) زاد المسافر ١١٤ ،النجوم الزاهرة ٢٢١/٦

(٣) الذيل والتكملة ٥٩٥/٢/٥، الاحاطة ٢٣٠/٢

(٤) نفح الطيب ٢٩١/١

(٥) غاية النهاية ٦٠/٢

(٦) كشف الظنون ٨٣٦/١

ولد ليلة السبت العاشر من ربيع الاول سنة اربعين وخمسمئة ببلنسية(١) وقيل كان مولده بشاطبة سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (٢)وتوفي بالاسكندرية(٣) باتفاق المصادر ليلة الاربعاء التاسع والعشرين لشعبان اربع عشرة وستمئة، ودفن على كوم عمرو بن العاص (رض) (٤)، ويرجح الدكتور شوقي ضيف ان يكون مسجد (سيدي جابر) فيها مسجده، وان يكون العامة حرفوا اسمه مع الزمن . (٥)

أخذ العلم عن أبيه وعن جلة من علماء عصره منهم : ابو الحسن علي بن ابي العيش (توفي بعد ٥٦٠ هـ) (٦) وابن الأصيلي وابو الحجاج يوسف ابن يسعون (توفي في حدود ٥٤٠ هـ) (٧) وابو محمد القاسم بن عساكر (ت ٦٠٠هـ) (٨). والتقى في رحلاته بأكثر علماء عصره في مكة وبغداد ودمشق وحرّان (٩). وتلمذ له خلق كثير في المغرب والاندلس من اشهرهم : الحافظ ابو محمد المنذري (ت٦٥٦هـ)(١٠)صاحب التكملة لوفيات النقلة والحافظ ابو الحسين على القرشي(١١) واحمد بن عبد المؤمن الشريشي(ت ٦١٩هـ)(١٢) صاحب الشروح الكثيرة .

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤ ، نفح الطيب ١٨٢/٢

(٢) التكملة لكتاب الصلة ٥٩٩/٢ ،الذيل والتكملة ٦٢١/٢/٥

(٣) التكملة ٥/ ٢/ ٦٢١

(٤) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤

(٥) الرحلات ٧١

(٦) معرفة القراء ٤٢٨/٢ ، غاية النهاية ٥٧٥/١

(٧) بغية الوعاة ٣٦٢/٢

(٨) نفح الطيب ٣٨٣/٢ ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ٤٧

(٩) الذيل والتكملة ٥/٢/ ٥٩٦ - ٥٩٧ .

(١٠) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٩/٤

(١١) نفح الطيب ٩/٢ ٤٨

(١٢) نفح الطيب ١١٥/١ وينظر بقية تلامذته في الذيل والتكملة ٦٠٧/٢/٥ والاحاطة ٢٣٣/٢

عاش ابن جبير في ظل الموحدين (١) وأتيحت له مجالات التعلم والثقافة في أسرته وشيوخ عصره .. وكانت الدولة الموحدية (٥١٤ — ٦٤٠ ﻫ) قد بسطت يدها على المغرب والاندلس وبلغت، أوج عظمتها في القوة الحربية والسياسية والحضارية، فاستطاعت ان تضع حداً للهجمات الاسبانية، واشتهرت معركة الأرك (سنة ٥٩١ ﻫ) التي انتصروا فيها ، وقد بدأ تراجع هذه الدولة اثر معركة العقاب (سنة ٦٠٩ﻫ) والتي كانت السبب في إدبار دولة الموحدين وسقوطهم ، وفي المشرق الاسلامي كانت الحروب الصليبية قائمة ، ولما شاع الخبر المبهج بتحرير صلاح الدين لبيت المقدس (سنة ٥٨٣ ﻫ) قام ابن جبير برحلته الثانية .

ازدهرت الاندلس عصر الموحدين في الحياة الثقافية والشعرية ، وبلغت مكاناً عالياً حتى قصدتها سفارات اسبانيا النصرانية والدول الاوربية للصداقة وعقد المعاهدات وطلب المعونة (٢)، وقد اشار بالنثيا الى نضوج الشعر في عصر ابن جبير ، بل بلغ من كثرة العلماء الذين هنؤوا ابا يوسف يعقوب المنصور بقصائد من الشعر الفصيح او الزجل الدارج أن امر بألا ينشدوه الا البيتين الأولين من قصائدهم (٣)، ومن شعراء عصره : الرصافي البلنسي (ت ٥٧٢ﻫ) وابو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥ﻫ)، كذلك عرف عصره ابا جعفر بن سعيد الذي كان شاعراً ممتازاً لعثمان بن عبد المؤمن — وجرى بينه وبين حفصة الركونية ماجرى بين ابن زيدون وولادة، وابن عربي محيي

---

(١) جاءت التسمية من دعوتهم إلى الفهم النقي والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة، وزعيمها الأول ابو عبد الله المهدي محمد بن تومرت (٤٨٥ – ٥٢٤ﻫ) ينتسب إلى قبيلة هرغة التي تسكن منطقة السوس جنوب المغرب ؛ وقد اوصى ابن تومرت بالأمر من بعده لابي محمد بن عبد المؤمن الكومي الذي حارب المرابطين وقضى عليهم سنة ٥٤١ ﻫ ، ورثه في الحكم ثمانية من اسرته وكانت عاصمتهم مراكش .

(٢) التأريخ الأندلسي ٤٩٩ .

(٣) تأريخ الفكر الأندلسي ٢٣

الدين محمد بن علي (ت ٦٣٨ هـ) وابراهيم بن سهل الاسرائيلي (ت ٦٤٩هـ) وعلي بن موسى (ت ٦٥٨هـ) وقد كانت لشاعرنا ابن جبير صلات ادبية بشعراء عصره، وجرت بينه وبين طائفة ادباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته (١) .

شخصيته واخلاقه :

نعتت كتب التراجم ابن جبير بنعوت كثيرة تنم عن الصلاح والفضل فقالوا انه : المقرىء والامام الرئيس (٢) والفقيه الزاهد المنقطع إلى الله (٣) وقال المراكشي : « كان اديباً بارعاً كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً سنياً فاضلاً ، نزيه الهمة سري النفس كريم الاخلاق، انيق الطريقة في الخط.. ونظمه فائق(٤)، عني بالآداب فبلغ منها الغاية وتقدم في صناعة القريض وصناعة الكتابة، ونال بهما دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها (٥) . ووصفه ابن الخطيب بأنه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب (٦) وذكر تلميذه المنذري أنه : كان من اهل العلم والديانة والفضل والصيانة (٧) . ومما يؤكد على صفاته المتقدمة القصة التي رواها صاحب الملتمس وجعلها اغرب مايحكى في المروءة وقضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان(٨) وفي هذا المعنى يقول :

يحسب الناس بأني متعب ... في الشفاعات وتكليف الورى
والذي يتعبهم من ذاك لي ... راحة في غيرها لن افكرا

---

(١) الذيل والتكملة ٥/ ٢/ ٦٠٧
(٢) معرفة القراء ٢/ ٤٨١ ،شذرات الذهب ٥/ ٦
(٣) رحلة العبدري ٢٦
(٤) الذيل والتكملة ٥/ ٢/ ٦٠٧
(٥) التكملة ٢/ ٥٩٨
(٦) الاحاطة ٢/ ٢٣١
(٧) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٨٩
(٨) نفح الطيب ٣/ ٢٩٥ كذلك ٢/ ٤٨٨

وبودي لو اقضي العمر في خدمة الطلاب حتى في الكرى (١)

كان ابن جبير سلفياً ، محباً للنبي وآله وصحابته . ولذلك أثنى عليهم في رحلته وأشعاره(٢)وهو رجل مطمئن النفس ، قانع بما يصيبه من الحياة لايغضب الا إذا ضاق ذرعه بالامور كما حصل له في رحلته الاولى . وهو بين يدي الأمناء في الاسكندرية .فأستأدوهم الزكاة عن كل ما عندهم ، ووقع التفتيش الدقيق واختلطت اسباب الحجاج وضاعت ، فاعتبر ابن جبير ذلك موقف ذل وخزي عظيم . كذلك حين يصف اهل عيذاب وهم يشحنون الحجاج بالسفن ينيلونهم أصناف العذاب فيعتبر حكمهم حكم الطواغيت (٣) .

لم يكن ابن جبير ذاهلاً عن مجتمعه ، زاهداً في اخوانه .. انما « جرت بينه وبين طائفة كبيرة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته (٤) ومن خلال رحلته وما تبقى من شعره نقف على شخصية العالم الفقيه المتصل اتصالاً مباشراً بمجتمعه ، وأما زهده في أخريات ايامه فلا يمثل سلوكاً معيناً كان يعيشه ثم أقلع عنه ، كما لايمثل اقبالاً على المجون والتهتك وتخلياً عنه فيما بعد .. انما يمثل زهد الفقيه المتحرج لازهد العابث اللاهي .. والأمر يبدو لنا من خلال الأخبار التي رويت عنه والأشعار التي قالها ، تذاكر يوماً مع صاحب الملتمس حالة الزاهد ابي عمران المارتلي ، يقول ابن جبير « صحبته مدة فما رايت مثله وانشدني شعرين(٥)مانسيتهما ولا انساهما ما استطعت احد هذين الشعرين :

اسمع اخي نصيحتي والنصح من محض الديّانه
لا تقربن الى الشها دة والوساطة والأمانه
تسلم من ان تعزى لزو رٍ أو فضول او خيانه

(١) ق ١٨
(٢) الرحلة ٥٣ ، ق ٢٠
(٣) الرحلة ١٣ ، ٤٧ ، ٤٨ وينظر تأريخ الجغرافية والجغرافيين ٥١٩
(٤) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٧
(٥) يريد بالشعرين : قطعتين من الشعر .

قال صاحب الملتمس : أراك لم تعمل بوصيته في الوساطة فقال : ماساعدني رقة وجهي على ذلك » (١) . ومن الذين صحبوه : ابو تمام غالب بن محمد الانصاري ت٦٢٩ ه من اهل بلنسية معدود في ادبائها ، صحب ابن جبير وروي بعض شعره (٢) ، وانشد بعض اشعاره ابا عمر بن الشقر بالاسكندرية وكتب شعراً بعد رحلته الى والي سبتة ابي .. محمد البجائي : وجرت بينه وبين ابي عمران الزاهد باشبيلية مراسلات (٣) ،فصلاته متينة بمجتمعه، ومودته دائمة لأخوته .

ومن الأحداث البارزة في حياته ، حادث شربه ، فقد ذكر المقري: أن ابن جبير كتب في شبيبته عن السيد ابي سعيد عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ، فاستدعاه لأن يكتب له كتاباً وهو على شرابه فمد يده اليه بكأس فأظهر الانقباض وقال : سيدي ماشربتها قط فقال ، «والله لتشربن منها سبعاً فلما رأى العزيمة شرب سبع اكؤس فملأ له السيد الكأس من الدنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره ، فحمله الى منزله ، وأضمر ان يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير، ثم رغب الى السيد وأعلمه انه حلف بايمان لاخروج له عنها انه يحج في تلك السنة فأسعفه وباع ملكاً تزود به وانفق تلك الدنانير في سبيل البر » (٤) . فمدلول الحادثة – اذا صحت – كبير، وأثرها في نفسه عميق اذ أن شعوره بالذنب دفعه الى التكفير عن خطيئته، وقد كان محرجاً ومضطراً لاطاعة امير الموحدين ، فحلف بعدها بأيمان غليظة ان يحج ، وباع ملكاً له ، واما تلك الدنانير التي لاتمثل مالاً طيباً بحكم اقترانها بالخمرة ، فانه انفقها لوجه الله ... ولعل نزعة الزهد رسخت عنده بعد هذه الحادثة .. ولم يلتفت الزهاد لهذه الكبوة التي لم يستطع دفعها عن نفسه وإنما ظل ذكره عطراً لدى معاصريه . وهذا ابو عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يثني عليه بقوله :

(١) نفح الطيب ٣/ ٢٩٦ وتنظر القطعة الاخرى فيه
(٢) المقتضب ١٣٦
(٣) نفح الطيب ٢/ ٤٨٧
(٤) نفح الطيب ٢/ ٣٨٥ — ٣٨٦

لابي الحسين مكارم لو أنها عدت لما فرغت ليوم المحشر
وله علي فضائل قد قصرت عن بعض نعماها عظام الأبحر (١)

رحلته :

اشتهرت رحلة ابن جبير شهرة كبيرة بين كتب الرحلات ، وهي التي ابرزت فيه الجانب الجغرافي . وحظيت بعناية الدارسين والباحثين ، فعدت اجمل واصدق رحلة في تراث الفكر الاندلسي كله(٢). ولم تكن رحلته اول رحلة مدونة في الاندلس، اذ ان هذا اللون من الرحلات شاع منذ عهد مبكر ، وابو بكر بن العربي (٤٦٨-٥٤٢هـ)يعد مبتكر هذا اللون في الاندلس(٣) في حين يعتبر ابن جبير اعظم رحالة في القرن السادس للهجرة (٤) .

رحل ابن جبير ثلاث رحلات حج في كل منها:

الرحلة الاولى: بدأها من غرناطة في (٨ شوال سنة ٥٧٨هـ) وعاد اليها في (٢٢ محرم ٥٨١ هـ) وهي التي صنف فيها كتابه المشهور (٥) واستغرقت عامين وثلاثة اشهر ونصفاً .

الرحلة الثانية : بدأها من غرناطة كذلك في (١٠ ربيع الاول ٥٨٥هـ) وعاد اليها في (١٣ شعبان ٥٨٧هـ) (٦) .

الرحلة الثالثة : بدأها من سبتة (سنة ٦٠١ هـ) وكان قد بلغ الثالثة والسبعين، ولم يعد بعدها فامضى اكثر من عشرة اعوام حتى توفي (سنة ٦١٤ هـ) (٧) .

تعددت اسباب رحلته كل مرة ، فالاولى تقترن بحادث شرب الخمرة، والثانية تقترن بسماعه لأخبار تحرير صلاح الدين الايوبي لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ

---

(١) نفح الطيب ٢/ ٤٨٦.
(٢) تأريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٤١٦
(٣) المصدر السابق ٤١
(٤) مقال أدب الرحلات في الاسلام ، في مجلة الثقافة العربية ، العدد ٩ ص ٢٩
(٥) الذيل والتكملة ٥/٢ ٥٩٦، الاحاطة ٢/ ٢٣١ وانظر الرحلة ص ٧
(٦) الذيل والتكملة ٥/ ٢/ ٦٠٥ ، الاحاطة ٢/ ٢٣٢
(٧) التكملة ٢/ ٥٩٩ وفي تأريخ الفكر الأندلسي ٣١٧ ودائرة المعارف الاسلامية ١/ ١١٦ ان رحلته الثالثة كانت (سنة ٦١٤ هـ) وهو وهم واضح لأنه وفاته كانت في تلك السنة .

ويكون ذلك من اقوى الأسباب للحج وزيارة المسجد الأقصى . (١) واما رحلته الثالثة فكانت اثر وفاة زوجته عاتكة المدعوة بأم المجد في (١٠ شعبان ٦٠١هـ) (٢) ، والرحلات في القرون الوسطى كانت متصلة بدعوة الدين الاسلامي الى الجهاد، وأداء الحج وطلب العلم والتجارة .. وصف ابن جبير رحلتهُ الأولى وصفاً مسهباً باسلوب المذكرات وهو المطبوع بين ايدينا بعنوان (رحلة ابن جبير) والتي عرفت باسمين آخرين (٣) وهي على جانب كبير من من الاهمية، بلغت ذروة مابلغه نمط الرحلة في الادب العربي (٤) واستطاع ان يضيف الى سجل الجغرافية والرحلات صفحات من أجل مافيه، وتعد الرحلة قياساً الى كتب الرحلات من أغزرها مادة واقربها الى روح العلم وأصدقها (٥) .

وفضلا عن رحلته روي عنه ترسيل بديع وحكم مستجادة نقلتها بعض المصادر (٦) .

شعره :

كان ابن جبير من ذوي المواهب المزدوجة فكتب ونظم. الا أن شهرة رحلته طغت على شاعريته فعرف كاتباً ولم يعرف شاعراً ... وأهملت الدراسات الحديثة (٧)

(١) الذيل والتكملة ٥//٢/٦٠٥

(٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٦ ، نفح الطيب ٢/٤٨٩

(٣) في بداية الرحلة المطبوعة نجد عنوان : « تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار » وفي نهايتها نجد عبارة « انتهت رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك ». وينكر كراتشكوفسكي هذين العنوانين ويرى انهما منحولان » انظر الرحلة ص ٧ ، ٣٢٠ وتأريخ الأدب الجغرافي ٣٠٠

(٤) تأريخ الأدب الجغرافي ١/٣٠١

(٥) تأريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٤٥٢

(٦) الذيل والتكملة ٥/٢/ ٦٠٨ — ٦٠٩ الاحاطة ٢/٣٧ — ٢٣٩

(٧) من هذه الدراسات مقدمة الدكتور حسين نصار لرحلة ابن جبير ، ومقالة في مجلة تراث الانسانية ١/٢٣٨ — ٢٤٥ ، قدماء ومعاصرون للدكتور سامي الدهان ١٢٠ — ١٣١ الشعر في عهد المرابطين والموحدين صفحات متفرقة منه .وقد توهم الدكتور حسين مؤنس حين نسب اليه بيتين هما لابن رشيق القيرواني . انظر الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٤١٨ وديوان ابن رشيق القيرواني ٢٢٦

هذا الجانب وتعجلت الوقوف عنده وأصدرت أحكاماً عامة فيه لجملة أمور في مقدمتها فقدان ديوانه ... ولمكانة ابن جبير وشهرته لدى الدارسين، وللصلة القوية بين شعره ورحلته، قمت بجمع ماتيسر من شعره في المصادر والمراجع مستكملاً جوانب شخصيته الأدبية .

ذكر ابن الأبار (ت ٦٥٩ هـ) أن شعر ابن جبير كثير مدوّن، وقال ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ) : انه « وقفت منه (شعر ابن جبير) على مجلد متوسط يكون بقدر ديوان ابي تمام حبيب بن اوس (جمع ابي بكر الصولي) او نحو ذلك، ومنه جزء سماه «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» اودعه قطعاً وقصائد في مراثي زوجه ام المجد بعد وفاتها والتوجع لها ايام حياتها (١) تزيد بيوته على ثلاثمئة، سوى موشحات خمس جعلها قريباً من آخره. ومنه جزء سماه « نظم الجمان في التشكي من اخوان الزمان » يشتمل على أزيد من مئتي بيت في قطع » (٢) .

وما توفر بين أيدينا من شعره يتوزع على ثمانية مصادر: اقدم من نقل من اشعاره — صفوان بن أدريس التجيبي (ت٥٩٨هـ) في زاد المسافر حيث اورد خمس قطع (٣) تفرد برواية ثلاث منها — يليه ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٧٣هـ) في المغرب . جاء بثلاث قطع (٤) في تسعة ابيات وردت في مصادر اخرى، ثم نجد الرحالة ابا محمد العبدري (توفي بعد ٦٨٨هـ) يورد له ثماني قطع (٥) وقصيدة واحدة منفرداً برواية خمس مقطوعات منها، ونلتقي بابن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣هـ) ثاني اثنين أوسعا من الاختيار لأشعاره . إذ يورد ثلاثين قطعة وقصيدة منفرداً برواية ثماني عشرة منها واكثر اشعار ابن جبير ترد عند المقري (ت١٠٤١هـ) في موسوعته الاندلسية

(١) توفيت ام المجد سنة ٦٠١ د بعد زمانة طويلة عن خمس وخمسين عاماً.
(٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٨ وانظر الاحاطة ٢/٢٣٤ وايضاح المكنون ٢/٦٢٣
(٣) تنظر ق : ١٣ ، ١٤ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ٥٩
(٤) تنظر ق ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣
(٥) تنظر ق . ٦، ١٠ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٢، ٢٥ ٣٠ ، ٣١ ، ٦٠

نفح الطيب . فيورد ثماني وثلاثين قطعة وقصيدة منفرداً برواية اربع وعشرين منها، وهي أكبر كمية ترد في مصدر واحد،ومن المتأخرين يختار له ابن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) ثلاثة ابيات (١) في انوار الربيع. وفي رحلته نتعرف على بيتين شعريين (٢) . وهذا الذي بين ايدينا لايمثل الا اليسير من شعره الذي وضعه المراكشي آنفاً فمن جزئه المسمى (نتيجة وجد الجوانح) وصل بيتان فقط . وموشحاته الخمس مفقودة لم نقع عليها ومن جزئه الآخر (نظم الجمان) وصلت قطع كثيرة .. واما أمداحه في بني عبد المؤمن فقد وقفنا منها على ثلاث قطع في سبعة عشر بيتاً . بينما يذكر ابن عبد الملك المراكشي أن له فيهم أمداحاً كثيرة (٣) فهو بعد ان يورد شيئاً من شعره في المنصور الموحدي يقول ،(وله فيه غير مما يطول ايراده) (٤). ويقول في موضع آخر . واغراضه كثيرة في اشعاره، مستحسنة، ولولا خوف الاملال والخروج بها الى غير ماله قصدنا لاستكثرنا منها ايثاراً لكريم آثاره . واستطابة لايراد أخباره وأشعاره ، وفي بعض ما اوردناه منها دلالة على انطباعه وشهادة بكرم طباعـــه (٥) فاذا علمنـــا ان ابن عبد الملك اكثر من ايراد شعـر ابن جبير. كان لقوله دلالته الواضحة على فقدان شعره ... والمقري ينفرد (٦) برواية قصيدته الميمية وبعد ان يستهلها ببيتين يقول (وهي طويلة وآخرها) ثم يورد ابياتاً .. من هنا يتأكد لدينا بأن مابين ايدينا لايمثل الا جزء من شعر ابن جبير ولو وصل ديوانه الموصوف بأنه على قدر ديوان ابي تمام (جمع الصولى) لتحصل لدينا شيء كثير .

---

(١) تنظر ق ٤٧

(٢) تنظر ق ٣، ٦٧

(٣) الذيل والتكملة ٥/ ٢/ ٦٠٧

(٤) المصدر السابق ٦/ ٣١

(٥) المصدر السابق ٥/٢/ ٦٢٠ – ٦٢١

(٦) نفح الطيب ٢/ ٤٩٣

موضوعات شعره

شعر ابن جبير صورة لحياته في اكثر من وجه ، فطابع التدين والالتزام بالخلق الاسلامي الذي لازم حياته واضح كل الوضوح في شعره ، وهو يمثل الاتجاه الاول الذي يتناول شعره، واما الاتجاه الثاني فشعره المتصل برحلاته واسفاره .. يعرض ابن جبير موضوعاته بطريقتين اثنتين المقطعات الشعرية والقصائد الطويلة ، وأهم موضوعاته ضمن هذين الاتجاهين هي :

١ — المديح :

قصيدة المديح عند ابن جبير ليست تقليدية ، فهو لايسبغ الفضائل جميعها على ممدوحه: الكرم، والشجاعة، والصدّق، والغيرة كذلك يسمو مديحه على المدح التكسبي ، الذي شاع عند شعراء المديح .. فمن خلال النماذج التي بين ايدينا تقترن قصيدة المديح عنده بسلوك الممدوح النابع عن موقف متصل بواقع المسلمين، فهو يوجه مديحه للشخصيات السياسية والدينية التي أعجب بها وقصائده الست في المدح غير مقترنة بمال او عطاء يصرح بذلك فيقول :

وحبك انطقني بالقريض ومـا ابتغـي صلـة الشاعـر (١)

وابرز ممدوحيه امير المؤمنين المنصور الموحدي ، ابو يوسف يعقوب بن عبدالمؤمن مدحه في مقطوعة وقصيدتين (٢) وافتخر به لأنه ناوأ الفلاسفة وذاد عن الدين الحنيف ، فهـو بذلك لايختلف عـن المصلحين الذين يبعثـون في كل مئة سنة، وفي اخرى يقول :

بلغت امير المـؤمنين مـدى المـنى لانك قـد بلغتنـا مانُؤمـل
قصدت إلى الاسلام تعلي مناره ومقصدك الاسنى لدى الله يقبل
تداركت دين الله في اخذ فرقة بمنطقهم كان البلاء موكل

وممدوحه الثاني هو صلاح الدين الايوبي ، مدحه واحداً من الذين اذهلتهم انتصاراته، وليس لدينا دليل على انه التقى به، وقد خاطبه بقصيدتين طويلتين

---

(١) ق ٣٠/ ٤٨

(٢) تنظر ق : ١، ٤٢، ٥٠

ميمية ورائية(١)،ونقدر من خلال الرحلة ان الاولى نظمت بعد محرم سنة٥٨٠هـ حيث يصل المدينة المنورة ويستهلها بقوله :

صلاح الدّين انت له نظام فما يخشى لعروته انفصام
فاظهر سنة الله احتساباً فقد ظهرت بها البدع العظام

ومن البيت الثاني يفهم بيت القصيد في قصيدته،إذ يتوجه إلى صلاح الدين ويحرضه على النظر فيما ظهر من البدع في المدينة المنورة ، وهو مايذكره ابن عبد الملك المراكشي في مناسبتها لكن المقرى — الذي يورد بيتاً واحداً منها — يذكر انه فيها يشكو من شاكر الذي اخذ المكس من الناس، وليس في القصيدة اشارة إلى ذلك ، وانما نجد هـذه الشكوى في قصيدته الرائية:(٢) تصور لنا قصيدته بلاد الحجاز، حين وصوله لها غير خاضعة لسلطان الايوبيين (٣) :

وما نال الحجاز بكم صلاحاً وقد نالته مصر والشآم

وما ورد في القصيدة من مديح بالاسلوب المباشر ، وتعداد خلال الممدوح وصفاته، قليل جداً اذ تنصرف القصيدة إلى وصف مارآه ووقف عليه في المدينة،وكان ابن جبير قد ناله اذى من صاحب المكس — وهو يذكر ذلك في رحلته « ولولا مغيب هذا السلطان العادل ، صلاح الدين بجهة الشام في حروب له هناك مع الفرنج لما صدر عن هذا الامير المذكور ماصدر من من جهة الحاج (٤) وهو يشير بذلك إلى المكس الذي فرض عليهم . وجلاء

(١) ق . ٣٠ ، ٥٦

(٢) ق . ٣٠

(٣) خضعت بلاد الحجاز لحكم الفاطميين ،كان ذلك في عهد كل من الحاكم والظاهر والمستنصر (٣٨٦ — ٤٨٧هـ) وخلال حكم الأخير (المستنصر) استولى حلفاؤه الصليحيون — حكام اليمن على الحجاز سنة ٤٥٦ هـ واقاموا اسرة علوية أخرى عرفت بالهواشم أو الهاشميين استمر حكمها حتى سنة ٥٩٨ هـ « وعلى الرغم من ان ولاة مكة والمدينة اقاموا في فترات مختلفة الدعوة لبني العباس ، فانهم حرصوا على اظهار ولائهم للخلفاء الفاطميين » النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ٢٦ ، في التأريخ العباسي والفاطمي ٢٤٢-٢٤٣.

الامر في قصيدته الاخرى — الرائية — والتي نظمها بعد رحلته الثانية ٥٨٥هـ. إذ فيها يهنىء صلاح الدين على فتحه بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ فيقول :

فتحت المقدس من ارضه ... فعادت إلى وصفها الطاهر
وجئت إلى قدسه المرتضى ... فخلصته من يد الكافر

ويصف الأذى الذي ينال الحجاج فيقول :

يعنف حجاج بيت الاله ... ويسطو بهم سطوة الجائر
ويكشف عما بأيديهم ... وناهيك عن موقف صاغر
وقد اوقفوا بعدما كوشفوا ... كأنهم في يد الآسر

فلما رفع صلاح الدين تلك المغارم ، وخصص اعطيات عوضاً عما كانوا يأخذونه من الحاج خاطبه بقوله :

رفعت مغارم اهل الحجاز ... بانعامك الشامل الغامر
وأمنت اكناف تلك البلاد ... فهان السبيل على العابر

وبذلك يملأ حبه قلوب الناس ويستأهل الاكبار والاجلال :

محبتكم القيت في النفوس ... بذكر لكم في الورى طائر
فكم لك بالشرق من حامد ... وكم لك بالغرب من شاكر
وكم بالدعاء لكم كل عام ... بمكة من معلن جاهر

وتلك المشقة التي نالت الحجاج من حكام الحجاز موصوفة في الرحلة بقوله: « يعتقدون في الحاج مالا يعتقد في اهل الذمة .. وقد صيروهم من اعظم غلاتهم التي يستغلونها ، ينتهبونهم انتهاباً ، ويسببون لاستجلاب مابأيديهم استجلاباً (١) »

ذكرنا ممدوحيه — المنصور الموحدي وصلاح الدين الايوبي ، واما الثالث فهو الصدر الخجندي — ابو القاسم عبد اللطيف بن محمد ، الذي اعجب به اعجاباً كبيراً في رحته لما راى من علمه وخلقه ، فوصف مجلسين من مجالسه ، وهو يحدث بالمدينة في ٧ محرم و ١٢ صفر سنة ٥٨٠ هـ وقال : واستجزناه فأجازنا نثرا ونظماً وهو اعظم من شاهدنا بهذه الجهات (٢) » ومما قاله فيه :

---

(١) رحلة ابن جبير : ٥٤
(٢) الرحلة ١٧٩ ، وانظر وصف مجلسيه في الرحلة ١٧٧ ، ١٩٦

يامن حواه الدين في عصره صدراً يحل العلم منه فؤاد
لايبتغي منه سوى احرف يعتدها اشرف ذخر يفاد
اجازة يورثنيها العلا جائزة تبقى وتفنى البلاد (١)

وواضح من الابيات أنها صدرت — على سبيل الاخوانيات لاعلى سبيل: المديح — بالمفهوم التقليدي — وبهذه الروح يجيب ابن جبير على ابياته فيقول

لك الله من خاطب خلتي ومن قابس يجتدى سقط زندي
اجزت ماأجازوه لي وما حدثوه وما صح عندي

٢ — **النقد الاجتماعي والشكوى من الزمان : —**

تؤلف شكوى ابن جبير من الزّمان نزعةً واضحة في أشعاره ، فقد وسم جزءاً من ديوانه بـ « نظم الجمان في التشكي من اخوان الزمان » ذكر ابن عبد الملك المراكشي انه يشتمل على أكثر من مئتي بيت في قطع ، ومن هذا الجزء ، بين ايدينا حوالي عشرين قطعة وقصيدة ..

كان ابن جبير فقيهاً متصلاً بمجتمعه ، كما تقدم في حديثنا عن اخلاقه ، وهو يصدر في كثير من سلوكه مع المجتمع عن وجهة دينية ، فإذا شكا الزمان ، فانما يشكو اخوان الزمان ، وينفذ من خلال هذه الشكوى إلى دعوة للاصلاح الاجتماعي ، بعد تشخيص المظاهر السلبية ونقدها ، وهي نزعة لايتفرد بها بها ابن جبير في عصره ، وقد كان من المع أعلامها في المشرق — ابو العلاء المعري ؛ وابن جبير يتحمس للالتزام بما كان عليه السلف . وينكر محدثات الأمور :

قد أحدث الناس اموراً فلا تعمل بها إني امرؤ ناصح
فما جماع الخير الا الذي كان عليه السلف الصالح (٢)

وكثيراً مايكون التقاطع والتدابر سبباً إلى الضياع والفرقة ، ينتقد هذه الظواهر

---

(١) ق ٨
(٢) ق ٧

ويقول :

إلى الله اشكو ماتكن الجوانح تقاطعت الأرحام حتى الجوارح
فلست ترى الا قلوباً وألسناً مخالفة هذي لهذي كواشح (١)

ويرى أن الامور كلها بيد الله فينكر التذلل والتمسح للولاة والحكام:

من الله فاسأل كل شيء تريده فما يملك الانسان نفعاً ولاضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم من الكبر في حال تموج بهم سكرا
واياك ان ترضى بتقبيل راحة فقد قيل انها السجدة الصغرى (٢)

وفي أبيات أخرى يدعو إلى الترفع عن خطط الدنيا ومناصبها والتعالى على سفاسفها :

من كبرت عن قدره خطة داخله من أجلها الكبر
ولاية الانسان سكر فما دامت له دام به السكر
دعهم مع الدهر واحداثه حتى ترى مايصنع الدّهر (٣)

ويتوجه إلى البغاة الظالمين بأن يقصروا عن بغيهم :

ايها المستطيل بالبغي أقصر ربما طأطأ الزمان الرؤوسا (٤)

ويسترسل في توجيه النصيحة للالتزام بالدين الحنيف – وعدم اهدار الوقت بجمع المال (٥)، ويدعو الانسان إلى التواضع ، ويزين صنع المعروف في اهله وتطويع شهوة الانسان لارادته (٦) . ويصدر عن تجربة مريرة في عدد من قصائده – مما يلقاه من اخوان الزمان خلال رحلاته واسفاره ويفقد الأمل في صلاحهم :

---

(١) ق ٦
(٢) ق ١٩
(٣) ق ٢٤
(٤) ق ٣١
(٥) ق ٣٦
(٦) ق ٥١ و ٥٣

صبرت على غدر الزمان وحقده وشاب لي السم الزعاف بشهده
وجربت اخوان الزمان فلم اجد صديقاً جميل الغيب في حال بعده
وكم غرني تحسين ظني به فلم يضيء لي على طول اقتداحي لزنده
وأغرب من عنقاء في الدهر مغرب اخو ثقة يسقيك صافي ودّه
وشاهدت في الاسفار كل عجيبة فلم أر من نال جداً بجده (١)

والناس بعد هذه التجربة ظروف محشوة بالمرارة وفوق افواهها شيء من العسل(٢)
وهو يلقي الخطوب خلال صحبته الزمان :

ومن تطل صحبة الزمان له يلق خطوباً وأفكادا (٣)

وتغير اخوان الزمان احد تلك الخطوب ، فيخاطب ابا عمران المارتلي بقوله:

تغيّر اخوان هذا الزمان وكل صديق عراه الخلل
وكانوا قديماً على صحة فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من شأنهم فصرت اطالع باب البدل (٤)

وينتهي إلى ان يسأل الله الراحة من دنياه لأن حاجته فيها إلى البشر – والبشر بعد خلاصة تجاربه – كسر لمنجبر – ماهم جبر لمنكسر (٥) .

٣ – نقد الفلاسفة وهجاؤهم :

يشغل نقد ابن رشد عند ابن جبير مساحة كبيرة من اشعاره ، وهو ،لايكف عن التعريض بالفلاسفة والدّهرية – وموقف الاندلسيين من الدعوات الفلسفية صارم ف «كل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم .. فان لهما حظاً عند خواصهم، ولايتظاهر بها خوف العامة فان كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة اطلقت عليه اسم زنديق ، وقيدت عليه انفاسه » (٦) .

(١) ق ١٥
(٢) ق ٥٢
(٣) ق ١٠
(٤) ق ٤٦
(٥) ق ٢٧
(٦) نفح الطيب ١/ ٢٢١

وقد تبنى هذا الموقف ، بعض امراء الاندلس ومنهم المنصور الموحدي ، وفي ظله اشعل ابن جبير نار الحرب ضد ابن رشد والفارابي ، وهو رجل غيور على الشريعة يخشى عليها القدح والثلم ،وكان الموحدون قد عرفوا بدعوتهم الى الأخذ بالكتاب والسنة ،ويرى بعض الدارسين ان بغضه للفلسفة نتيجة لتأثره مما سمعه في بيئات المشرق التي اتصل بها اثناء رحلته (١) . وهو في سبيل القضاء على دعوتهم يخاطب المنصور الموحدي بقوله :

خليفة الله انت حقاً فارق من السعد خير مرقى
حميتم الدين من عداه وكل من رام فيه فتقا
تفلسفوا وادعوا علوما صاحبها في المعاد يشقى (٢)

ويرى فيهم فساد الدنيا والدين :

قد ثبت الغي في العباد طائفة الكون والفساد
يلعنها الله حيث كانت فانها آفة العباد (٣)

ويجد فيها الشؤم والفحش والجهل والسفه :

قد ظهرت في عصرنا فرقة ظهورها شؤم على العصر(٤)

ويقول :

ياوحشة الاسلام من فرقة شاغلة انفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها وادعت الحكمة والفلسفه(٥)

وتشتد سورة الغضب عنده فيصفهم بأنهم مارقون من الدين يستبيحون المحرمات ويتهاونون في الفرائض :

اباحوا كل محظور حرام وردوه لانفسهم حلالا
فيأتون المناكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى (٦)

---

(١) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ١٥٣ (ط ٢ النهضة المصرية ١٩٤٦)
(٢) ق ٤٢
(٣) ق ١٦
(٤) ق ٢٦
(٥) ق ٤٠
(٦) ق ٤٨ وتنظر : ق ١٢ ، ٦٢ ، ٦٦

وقد كان من شأن المنصور الموحدي ان نكب ابن رشد سنة ٥٩٣ هـ الا أنه لم يلبث ان ارسل اليه وعفا عنه ، ويقال إن ابن جبير شهد دفن ابن رشد وكان في حال تأثر شديد (١).

٤ – الشوق والحنين

قام ابن جبير – كما تقدم . برحلات ثلاث . كانت الاولى سنة ٥٧٨ هـ والأخيرة سنة ٦٠١ هـ وبين هذين التاريخين كان دائم الشعور بالشوق والحنين، فحين يكون في وطنه يشتد به داعي الشوق إلى الاماكن المقدسة ، وما أن يفصل عن البلاد المقدسة حتى ينكص شوقه ويرتد إلى وطنه الذي تغرب عنه ، استمع اليه وقد تحرك إلى الرحلة الحجازية :

أقول وقد دعا للخير داع ... حننت له حنين المستهام
حرام أن يحل بي اعتياض ... ولم أرحل إلى البيت الحرام
فلا طافت بي الآمال ان لم ... أطف ما بين زمزم والمقام
ولاطابت حياة لي اذا لم ... ازر في طيبة خير الانام
فأهديه السلام واقتضيه ... رضا يدني إلى دار السلام(٢)

وحين يهيء حجاجاً عائدين سبق له أن اجتمع بهم في مكة يشتد وجده وشوقه ليقول :

يا وفود الله فزتم بالمنى ... فهنيئاً لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات معكم ... فلهذا برّح الشوق بنا
أنتم الاحباب نشكو بعدكم ... هل شكوتم بعدنا من بعدنا
ما عنى داعي النوى لما دعا ... غير صب شفّه برح العنا (٣)

وحين يكون بعيداً عن وادي العقيق يقول :

(١) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ٣٥٣ ، هامش ٣
(٢) ق ٥٧
(٣) ق ٥٨

سكان وادي العقيق شوقي اليكم في البعاد زادا
ونظرة منكم المنى لو اهديتموها إلي زادا(١)

وينفدُ صبره بعد أن يجور الزمان عليه بفراق أهل طيبة فيجاري دمعه أدمع المزن (٢) وترهف مشاعره بحب النبي الكريم ،فحين يقترب من مدينة الرسول (ص) ينير سراج الهدى له الدّرب ، والليل يتجلى نهارا . وشذا المسك يفوح من الديار . والرواحل تبتدر مسرعة بعد أن كانت تشتكي النصب . وهو يمضي ببغيته لايملك الا البكاء :

سوى أننا لم نطق أعينا بأدمعها غلبتنا انفجارا (٣)

ويمضي ابن جبير في وصف لواعج الشوقِ وعظيم السرور بلقاء حبيبه سائلاً الله سبحانه ان يمهد له — بلحظة من الرسول (ص) — جنته .

وكانت النزعة مستحكمة في اشعار الاندلسيين في تفضيل الغرب على الشرق ، ـتروم من ذلك إلى اثبات الشخصية الاندلسيةـ ، وفي ذلك كتب ابن حزم والشقندي وابن سعيد رسائلهم(٤)..لكن شوق ابن جبير وضميره منشدّان إلى بلاد الشرق لكرامة من فيه ..فاذا برحت به الغربة وذاق لأواءها تذكر اوطانه ، وارسل دموعه قرابين ، فمما قاله وهو بمصر :

شهدنا صلاة العيد في ارض غربة باحواز مصر والاحبة قد بانوا
فقلت لخلي في النوى جد بدمعة فليس لنا الا المدامع قربان (٥)

وهو يعاود البكاء في تذكر الاوطان دائماً :

---

(١) ق ١١

(٢) ق ٢١

(٣) ق ٢٢/ ١٩

(٤) اورد المقري رسائلهم في نفح الطيب ، ونشرها مستقلة صلاح الدين المنجد بعنوان : فضائل الأندلس واهلها (ط دار الكتاب الجديد ١٩٦٨ بيرت)

(٥) ق ٦٠

ويرسل للغرب من دمعه غروباً لتسقي سكانه (١)

وحين يقطع غصناً نظيراً فيذوي في يده يقول :

لا نغترب عن وطن واذكر تصاريف النوى

اما ترى الغصن إذا ما فارق الاصل ذوى (٢)

وتجود قريحته بشعر رائق ، يضطرب بالعواطف ، حين تلوح له جبال «دانية» وهو على ظهر البحر عائداً من رحلته الاولى .

يا ليت شعري والآمال معوزة وربما امكنت يوماً لمختلس

هل يدنون مزار الشوق ان به ماشئت من نهز للأنس اوخلس

وهل تعودن ايام رشفت به سلافة العيش احلى من جنى اللعس

حيث انبسطنا مع اللذات تنقلنا ايدي المسرات من عيد إلى عرس (٣)

والملاحظ ان شوق ابن جبير وحنينه متصل بوطنه في اكثر القطع التي نظمها ، وفي الوطن ذكريات عزيزة تقترن بالاهل الذين خلف فيهم الله سبحانه ، واستودعه اياهم :

ايارب اهلي في يديك وديعة وما عدمت صوناً لديك الودائع (٤)

وهو يتشوق لأهله وخلانه في قطع أخرى فيكتب ابياتاً يخاطب فيها البجائي والي قضاء سبتة — بلواعج شوقه ، وحبه لزوجه التي وسدها الثرى هناك :

فلو استطيع ركبت الهوا فزرت بها الحي والميتا (٥)

كما يتشوق إلى جارية بغرناطة ، ويرسل تباريح الشوق التي لاصبر له عليها :

ولي بغرناطة حبيب قد غلق الرهن في يديه

ودعته وهو بارتماض يظهر لي بعض مالديه (٦)

(١) ق ٥٩
(٢) ق ٦٨
(٣) ق ٣٣
(٤) ق ٣٧
(٥) ق ٤
(٦) ق ٦٣

وكنا نؤمل ان يستوعب شعره وصف البلاد العريضة التي طاف بها وضرب في ارجائها ،فلم تحظ بشيء يذكر فيه ،وقد ظفرنا بقطع في غزل بمحبوب(١) واستحسان للصوت الجميل (٢) ووصف للقلم (٣)

سمات عامة في شعره :

لاشك ان ابن جبير نال قسطاً من الثقافة الادبية ، فهو يروي الشعر ويحفظ نماذج منه ،وهو يهتز لجيد الشعر حين يستمع لرئيس الشافعية صدرالدين الخجندي، ينشد أبياتاً في مدح الرسول (ص) (٤)،ويعجب بابن الجوزي، وهو ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق بديعة الترقيق تشعل القلوب وجداً ... «وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام » (٥) حين تثور الريح الشمالية ويكابد الأمرين يقول : فلله در القائل :

البحر مرّ المذاق صعب لاجعلت حاجتي اليه
اليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه (٦)

ويروي أبياتاً لابي محمد عبدالخالق المسكي، حين مجيئه من قرافة مصر، جرت بين يحيى بن هذيل وابن القوطية (٧) .كما يأخذ بالمباح في السماع، حين يقول :

زيادة حسن الصوت في الخلق زينة يرون بها لحن القريض المحبر
ومن لم يحركه السماع بطيبة فذلك أعمى القلب أعمى التصور
وأهل الحجا أهل الحجاز وكلهم رأوه مباحاً عندهم غير منكر

(١) ق ١٣
(٢) ق ٢٨
(٣) ق ٤١
(٤) الرحلة ١٧٨
(٥) الرحلة ١٩٩.
(٦) الرحلة ٢٨٨ والبيتان لابن رشيق القيرواني ينظر الديوان ٢٢٦
(٧) ق ٣٨ (وإباحة السماع وردت بمذهب مالك)

فان رسول الله قد قال زينوا ... بأصواتكـم آي الكتاب المطهر
فان أك مغرى بالسماع وحسنه ... فحسبي اقتداء بالكريم ابن جعفر (١)

وحمل ابن جبير قلباً كبيراً يعتلج بعاطفة جياشة. ذلك دفعه إلى التأسي بالرحلة في سن كبيرة بعد وفاة زوجه (ام المجد)، وهو أمر لا يقدم عليه الكثيرون. وقد حرمنا للأسف ديواناً نادراً في الشعر الاندلسي افرده في رثاء زوجه لمكانتها في نفسه «فهو اول ديوان افرده شاعر عربي كبير لبكاء زوجته الراحلة» . (٢) ولم يكن نظم الشعر عند ابن جبير عملية مؤرقة، لايكد ذهنه فيها، وانما كان يسح بالشعر وينساب انسياباً ، فقد نظم قصيدته الرائية ، نظمها ارتجالا حين تراءت له المدينة (٣). ومن خلال اشعاره يلمح العبدري أن ابن جبير متأثر في بعض أشعاره بمنصور الفقيه (ت سنة ٣٠٦ هـ) (٤)

سلك ابن جبير في اشعاره سبيلين : المقطعات الشعرية والقصائد الطويلة .. والاسلوب الأول كان شائعاً في عصره ، وأولع به شعراء الأندلس : ابن زيدون وابن اللبانة وابن خفاجة وابن الزقاق البلنسي والرصافي البلنسي وغيرهم .. ومقطعاته تؤلف –من خلال مجموع شعره – نسبة عالية . حوالي ثلاثة ارباع شعره ، واما قصائده المطولة ذات النفس الطويل فهي ضئيلة ، وقد استأثرت المقطوعة باعجاب الأندلسيين حتى كان ذلك مدعاة لفخر بعض الشعراء (٥)

---

(١) الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ٢٣٨

(٢) مقالة رحلة ابن جبير – مجلة تراث الانسانية ١ / ٢٣٩ ، وكان الشعراء قديماً رثوا زوجاتهم الا اننا لا نعرف من ترك ديواناً كاملا في رثائها ، ومن الذين رثوا زوجاتهم بالاندلس : ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٣٠ هـ) والاعمى التطيلي (ت ٥٤٢ هـ) وابو عامر ابن الحمارة (من شعراء القرن السادس الهجري)

(٣) تنظر ق ٢٢

(٤) رحلة العبدري ٧١

(٥) هجا الأبيض ابن صارة الشنتريني فقال :

غروه ان قالوا شويعر قطعة ... لا شاعر فحل يمر وينقض

يريد ان الشاعر اصبح مغروراً لأن الناس اعجبوا بمقطوعاته القصار انظر : ابن صارة الأندلسي ٢٣

وفي الغالب تستهدف المقطوعة الشعرية عند ابن جبير : الابداع الفني والبراعة اللغوية ،والكثير منها في ديوانه الموسوم « نظم الجمان في التشكي من اخوان الزمان » وقد قصد ابن جبير لتحقيق الجناس وفنون البديع الاخرى في مقطوعات كثيرة (١)، استمع اليه يقول :

سكان وادي العقيق شوقي   اليكم في البعاد زادا
ونظرة منكم المنى لو   اهديتموها إلي زادا
عهد لنا عندكم حميد   ياليته بالوصال عادا
صادق فيه الكرى جفوني   وبعدكم للجفون عادى (٢)

فالتجنيس واضح بين (زادا) في البيتين الأولين و(عادا) في الاخيرين ومثل ذلك بين لفظتي (جدك) ولفظتي (الرشد) و (رشد) في قوله :

لم تلزم الرشد ياابن رشد   لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء   ماهكذا كان فيه جدك (٣)

وتعلق ابن جبير بالجناس في منظومه يفضي به إلى (لزوم مالايلزم) وهو أن يأخذ الشاعر نفسه بالتزام حروف وحركات في القافية لاتتطلبها قواعد علم القافية ،زيادة في الايقاع الموسيقي للقافية، ونلقى ذلك في عشر مقطوعات . ففي المقطوعة الاولى الآنفة التزم حرف الروى بالألف . وفي المقطوعة الثانية.. التزم بحرف الدال والجيم .. ووصل بالكاف .. وتتجلى قابليته ابرع ما تكون في قوله :

اذا بلغ المرء ارض الحجاز   فقد نال افضل مأمله
وان زار قبر نبي الهدى   فقد أكمل الله مأمله (٤)

---

(١) انظر ق ١٠ ، ٢٠ و ٢٣ و ٣٩ و ٥٨/٧ ، ٨ ، ١٣١
(٢) ق ١١
(٣) ق ١٢
(٤) ق ٤٧

وقوله :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى وحط عن النفس اوزارها
وان السّعادة مضمونة لمن حل طيبة أوزارها (١)

ويرى الدكتور ابراهيم انيس : ان اللزوميات تتدرج من ثلاثة اصوات الى ثمانية، والنوع الاخير هو اقصى مايمكن ان يطمح اليه الشاعر من الموسيقى. وهي تتطلب في انشادها مايقرب من ثانية ونصف ... (٢) ويلاحظ أنّ ابن جبير في لزومياته يلتزم بوحدة زمنية طويلة، كما هو واضح في المقطوعتين الاخيرتين ... وهو في هذا يعكس لنا ملكته اللغوية وثقافته فيها . ومن فنون البديع الاخرى التي التزمها فضلا عن الجناس حسن التعليل والتورية استمع اليه يقول :

أخلاءُ هذا الزمان الخؤون توالت عليهم حروف العلل
تَغيّر اخوانُ هذا الزمان وكلُّ صديقٍ عرَاه الخَلَلْ
وكانوا قديماً على صحّة فقد داخلتهم حروف العِلل
قضيت التّعَجب من شأنهم فصرتُ أُطالِعُ بابَ البدل (٣)

فلفظتا (العلل والبدل) فيهما مدلول اصطلاحي من علم المنطق .. وهو يريد بهما المعنى الاخر وقصده التورية اضطره الى الوقوع في خطأ التضمين فأورد (العلل) مرتين في معنى واحد قبل مضي سبعة ابيات وقد استطاع الشاعر وباستخدامه لاسلوب السّخرية والتهكم ان يجسد لنا صورة ذات مدلول بليغ لتغير الناس وتقلبهم .

كذلك نجد ابن جبير يكثر الاقتباس من القرآن الكريم (٤) والحديث الشريف والأمثال العربية المأثورة مكرراً ذلك في قصائد ومقطوعات كثيرة لاتخفى على المتأمل .. وهو بذلك يعكس لنا وجهاً آخر من أوجه ثقافته ويحاول ان

---

(١) ق ٢٣ وانظر كذلك ق ٥ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٩
(٢) موسيقى الشعر : ٢٧٨
(٣) ق ٤٦
(٤) للعلماء مواقف متباينة من الاقتباس من القرآن الكريم انظر انوار الربيع ٢/٢١٧وما بعدها

يبسطها للسامعين . واقتباسه من القرآن الكريم في كثير منه محمود معقول لانه يقصد من ورائه الموعظة والنصح ومن ذلك قوله :—

« وكن بحبل الله معتصماً » (١) و« اذهب الرجس عنهم » (٢) و « جاهدوا في الله حق جهاده » (٣) و« ان قارون من قوم موسى »(٤)او « يأتون الصلاة وهم كسالى » (٥)

وفي اقتباسه من الحديث الشريف يدرك غايته كذلك . بالوعظ والنصح من ذلك قوله (مطهراً دينه في رأس كل مئة)((٦) و (فان زناء العيون النظر) (٧) و(جنودك بالرعب منصورة) (٨) و(آثرت درء الحدّ عنهم بشبهة) (٩)

ومن اقتباساته من الامثال قوله (فعند جهينة الخبر) و (ان البلاء موكل بالمنطق) و (من قبل قرعك سنّ الندم)(١٠) .. وفي كثير من اقتباساته يغير بزيادة اونقصان او ابدال . فاذا لم يقتبس قاس المعاني بلطف وبلاغة فصاغها في قالب جديد :

من الله فاسأل كل شيء تريده فما يملك الانسان نفعاً ولا ضرا

ولا تتواضع للولاة فانهم من الكبر في حال تموج بهم سكرا

يقول العبدري « ونهيه عن التواضع للولاة حكم شرعي —قال (ص) « من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه » (١١) كذلك قوله :

(١) ق ١٠ / ٢
(٢) ق ٢٠ / ٢
(٣) ق ٢٠/ ٥
(٤) ق ٣١/ ٢
(٥) ق ٤٨/ ٤
(٦) ق ١/ ٢
(٧) ق ١٧/ ٢
(٨) ق ٣٠/ ١٠
(٧) ق ١٧ / ٢
(٨) ق ٣٠/ ١٠
(٩) ق ٥٠ / ٨
(١٠) ق ٥٥/٩
(١١) ق ١٧ رحلة العبدري ٧١

فلست ترى الا قلوباً والسنا مخالفة هذي لهذي كواشح
فالقلب عقد واللسان بنطقه يخالفه والفعل للكل فاضح

فانه مأخوذ من قول الحسن (رض) (وألسن تصف وقلوب تعرف واعمال تخالف) (١)

واما المعاني التي تجري فيها اشعاره فتتمثل فيها نظرة الفقيه المسلم للخلافة (٢) ونزعة الفقيه في محاربة البدع (٣) واستسلام الفقير الى الله في كل شيء (٤) وهو يتضرع الى ربه دائماً لطلب المغفرة (٥) ويعلن حربه على الشهوات ويسعى لبذل الخير للناس واعانتهم . وهو ضمن اطار هذه المعاني يكثر من ترددها .. ويضطر الى تكرارها في اكثر من مقطوعة فيقول :

فيأتون المناكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى

ويقول : اذا قاموا لها قاموا كسالى على الكره كأنهم نيام (٦)

وهو لايختلف كثيراً في قوله :

بالمنطق اشتغلوا فقيل حقيقة : «ان البلاء موكل بالمنطق»

وقوله : تداركت دين الله في اخذفرقة بمنطقهم كان البلاء موكل (٧)

وتتكرر هذه الظاهرة في مقطوعات اخرى (٨) : —

واما الموسيقى التي أساس لها قوافيه واطمأنت اليها نفسه فهي في كثير تتحدد بالموضوع الذي يتناوله فنجده في بعض يستخدم البحور الطويلة الرحبة .

---

(١) رحلة العبدري ٩٨ ق ٦
(٢) ق ١ ، ٤٢
(٣) ق ٧ ، ٥٦
(٤) ق ١٥/ ٩ — ١١ ، ١٩، ٢٧
(٥) ق ٩ ، ٣٧
(٦) ق ٤٨ /٤ ، ٥٦/ ١٧ .
(٧) ق ٤٤/ ٢ ، ٥٠/ ٣
(٨) ق٥١ ، ٥٣

كالطويل والكامل والبسيط والمتقارب وفي بعض اخر يعمد الى البحور السريعة والقصيرة والمجزوءة كالسريع والمنسرح ومخلع البسيط والخفيف والمجتث وفي الحالين يأتي شعره في مقطوعات وقصائد فحظ البحور الطويلة كبير في المديح والحكمة والنصح الاخلاقي والوداع والفراق بينما يزداد حظ البحور القصيرة في هجاء الفلاسفة ونقد المجتمع وهجر الحبيب ... ومجموع مانظمه في بحر الطويل . والمتقارب والكامل هو احدى وثلاثون مقطوعة وقصيدة . وهو يمثل نصف قطع المجموع الشعري تقريباً . بينما مجموع مانظمه في بحري السريع ومخلع البسيط هو ثماني عشرة مقطوعة وقصيدة . وهو اقل من ثلث المجموع الشعري الذي بين ايدينا . واكثر منظومه جاء في البحور الآنفة .

ولا نستطيع أن نفترض أن هناك موضوعات خاصة بكل بحر . فالبحر الواحد قد يصلح لموضوعات الشعر بشكل عام كما أن الموضوع الواحد قد تصلح معه بحور الشعر كذلك . ولكن نستطيع ان نقف مع الشاعر فنتأمل الوزن الذي تخيره على سبيل المثال في موضوعين مختلفين ففي الحكمة والنصح الاخلاقي يقول :—

عليك بكتمان المصائب واصطبر ... عليها فما ابقى الزمان شقيقاً
كفاك من الشكوى الى الناس انها ... تسر عدواً أو تسوء صديقاً (١)

فيستخدم بحر الطويل ذا الامواج الهادئة والاجزاء الكثيرة متوغلا الى النفس الانسانية في محاولة لتثبيت معاني الخير فيها . بينما يتخير في هجائه للفلاسفة وزناً قليل المقاطع متلاحق الاجزاء يظهر جزعه مما هم عليه، ويصبُّ جام غضبه عليهم :

ياوحشة الاسلام من فرقة ... شاغلة انفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها ... وادّعت الحكمة والفلسفه (٢)

وهكذا تتكرر الصورة في قطع اخرى .

استكمل ابن جبير عدة الشاعر . واستطاع ان يسمو في بعض اشعاره الى

(١) ق ٤٣
(٢) ق ٤٠

درجة الجودة لاسيما تلك التي يصدر اليها عن عاطفة غزيرة ، وصور فنية رائعة ، لاسيما في اشعار الشوق والحنين ، لاينفي ذلك هبوط المستوى الفني الى درجة النثرية حين تتمكن منه الفكرة فيجري لادائها ، ويتخلف في البراعة الفنية، وليس من الانصاف ان ننتهي الى الحكم بان شعره شعر علماء وفقهاء ليس بذي قيمة » (١) كما رأى بعض الدارسين .

وبعد ، فقد وقفنا عند حياة ابن جبير وعصره وشخصيته واخلاقه وابرز اغراضه ثم تأملنا في سماته الشعرية العامة من خلال ماتوفر من شعره ودونك شعره مرتباً حسب القوافي (٢) .

(١) مقدمة رحلة ابن جبير – تحقيق الدكتور حسين نصار ص (ط)

(٢) اخذت في ترتيب اشعاره بحرف الروي – وذكرت بحر القصيدة ،ثم اتبعت الأبيات تخريجها في المصادر ، وعولت على المصدر الاقدم في رواية الأبيات الا إذ كان تصحيفاً او تحريفاً حيث اثبت الوجه الصحيح في المتن واشير إلى ذلك في الهامش كما ترجمت للاعلام الواردة وخرجت الابيات والأحاديث المقتبسة ،وذكرت مناسبة الأبيات حين اهتديت لها.

(الهمزة)

(١)

قال يمدح المنصور الموحدي :(*)

(من البسيط)

١ – خليفةَ اللهِ دُمْ للدّين تحرسه   من العدى وتقيه شرّ(كل) فئهْ

٢ – فاللهُ يَجعَلُ عدلاً من خلائقِه   مُطَهِرا دينه في رأس كلّ مِئهْ

(١) الذيل والتكملة ٦/ ٣١ .

(*) هو ابو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن امه ام ولد بويع في حياة ابيه وتولى بعد وفاته سنة ٥٨٠ ﻫ إلى أن توفي سنة ٥٩٥ ﻫ وتوفي وله من العمر ثمان واربعون سنة كان من الدعاة إلى الأخذ بالكتاب والسنة وحمل الناس على الظاهر من القرآن . وكانت محنة ابن رشد في اخريات حياته في قصة وردت في المعجب . الا انه لم يلبث ان ارسل عليه وعفا عنه . أنظر ترجمته في المعجب ٣٣٦ – ٣٨٥ .

(٢) في عجز البيت اقتباس من الحديث الشريف « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » انظر سنن ابي داود ٢/ ٤٢٤ .

(٢)

قال يخاطب بعض أصحابه بالقاهرة وقد أهدى اليه موزاً: (من المجتث)

١ — يامهديَ الموزِ تبقَى ومـيـمـه لـك فـاء
٢ — وزايُـهُ عن قَريبٍ لمـن يُـناويك تَـاء

(٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٢٠ ، نفح الطيب ٢/٣٨٤
(٢) النفح « لمن يعاديك تاء »

الباء

(٣)

ولما وصل قرية (زريران) على شط دجلة على مرحلة من بغداد قرب مشهد سلمان الفارسي قال متذكراً بلده :—

(من الطويل)

سقى الله باب الطاقِ صَوبَ غمامةٍ وردَّ إلى الأوطان كلَّ غريب

(٣) رحلة ابن جبير ١٩٢ (بلا نسبة) ،نفح الطيب ٢/ ٣٦.

التاء

(٤)

وقال (*) : (من المتقارب)

١ — بسبتَةَ لي سَكنٌ في الثَرى وخِلٌ كريمٌ اليـهـا اتـى
٢ — فلو استطيعُ رَكِبتُ الهَوا فـزرتُ بها الحَـيَّ والميـتَـا

(٤) نفح الطيب ٢/ ٤٨٩
(*) الابيات ما كتبه ابن جبير من الديار المصرية في رحلته الأخيرة إلى ابي محمد عبد الله البجائي ويعرف بابن الطيب وكان والياً قضاء سبتة ، وزوجته هي عاتكة المدعوة بام المجد ، والدها الوزير الحسيب احمد بن عبد الرحمن الوقشي توفيت لعشر خلون من شعبان سنة ٦٠١ بعد زمانة طاولتها عن خمسة وخمسين عاماً . انظر الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٦.

(٥)

وقال في صديق له :

(من الخفيف)

١ — لي صديقٌ خسرت فيه ودادي حين صارَتْ سلامتي منه ربحا
٢ — حسَن القول سيء الفعل كالجـ زار سمّى وأتبع القولَ ذَبحـا

(٥) الطيب ٢/٤٨٨– ٤٨٩

(٦)

وقال ينتقد المجتمع :—

(من الطويل)

١ — إلى الله أشكو ماتُكن الجوانحُ تقاطعت الارحام حتى الجوارحُ
٢ — فلستَ ترى الا قلوباً وألسُناً مُخالفةً هذى لهذى كواشحُ
٣ — فللقلبِ عقد واللسانُ بنطقهِ يُخالِفه والفعلُ للكُلّ فاضحُ

(٦) رحلة العبدري : ٩٨

(٢) – الكواشح جمع كاشح وهو الذي يضمر العداوة . وفي رحلة العبدري اشارة إلى أن البيتين من قول الحسن (رض) « ألسن تصف وقلوب تعرف واعمال تخالف »

(٧)

وقال ينتقد المجتمع :

(من السريع)

١ — قد أحدث الناس اموراً فلا تَعمَل بِها إني امروءٌ ناصح
٢ — فما جِماعُ الخَيـرِ الا الّذي كان علَيه السّلفُ الصّالح

(٧) نفح الطيب ٢/ ٤٩٢ .

(٨)

قال يمدح الصدر الخجندي ويستجيزه: (*)

(من السريع)

١ ـ يامن حواه الدين في عصره ... صدراً يحلّ العِلم منه فؤاد
٢ ـ ماذا يَرى سيّدنا المرتضى ... في زائر يخطب منه الوداد
٣ ـ لايبتغي منه سوى أحرُف ... يعتدها أشرف ذخرٍ يفاد
٤ ـ ترسمها أنمله مثل ما ... نمّق زهر الروض كفُّ العهاد
٥ ـ في رُقعة كالصبحَ أهدى لها ... يَد المعالي مِسك ليل المداد
٦ ـ إجازةً يورثنيها العلا ... جائزة تبقى وتفنى البلاد
٧ ـ يستصحب الشكر خديما لها ... والشكر للامجادِ أسنى عتاد

(٨) نفح الطيب ٢/ ٣٨٢

(*) هو عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت، الخجندي ، ابو القاسم اوبو محمد الملقب بـ : صدر الدين من أهل اصبهان . تولى الرئاسة على قاعدة آبائه ، كان فقيهاً أديباً واعظاً وله شعر جيد ولد سنة ٥٣٠ هـ ومات في جمادى الاولى ٥٨٠ هـ، وانتهت رئاسة الشافعية « إلى ابنه «محمد» الملقب بسور الدين وقد وصف ابن جبير مجلسين من مجالسه بالمدينة في ٧ محرم و١٢ صفر سنة ٥٨٠ هـ وذكر انه كان يعظ باللسانين ينظر : طبقات الشافعية ٤/ ٢٦١ ، التكملة ٢/ ٥٩٨ .

وقد اجاب على ابيات ابن جبير واجازه بقوله :

لك الله من خاطب خلتي ... ومن قابس يجتدي سقط زندي
أجزت ما أجازوه لي ... وما حدثوه وما صح عندي
وكاتب هذي السطور التي ... تراهن عبداللطيف الخجندي

٤ ـ العهاد : اول مطر الوسمي.

(٩)

ومن شعره قوله في الزهد :

(من مخلع البسيط)

١ – ياخيرَ مَولى دَعـاه عَبْدٌ أعمـل في البـاطِـلِ اجتهـادَه
٢ – هَبْ لي مـاقد علِمتَ مني يـاعـالمَ الغَـيب والشَّهادَه

(٩) نفح الطيب ٢/ ٤٩٠

(١٠)

قال في الحكمة والخلق الاسلامي وهو ينشد ابا عمرو بن الشقر (*) بالاسكندرية :

(من المنسرح)

١ – تأنَّ في الأمر لاتكنْ عَجِلا فمن تأنى أَصـاب او كَادَا
٢ – وكُن بحبـلِ الإله مُعتَصِماً تَأمَـنْ به بَغْيَ كلَّ من كادا
٣ – فكم رَجـاهُ فنالَ بغيتَه عبـدٌ مسيءٌ بنفسه كـادا
٤ – ومن تَطُلْ صحبةُ الزمان له يلـقَ خُطوباً به وأنـكـادا

(١٠) رحلة العبدري ٧٠
(*) لم نهتد إلى ترجمته فيما توفر لدينا من مصادر.
(٢) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ..» ال عمران : ١٠٣

(١١)

قال يتشوق لاهل العقيق :

(من مخلع البسيط)

١ – سُكّان وادي العَقيق شَوقي إليـكـم فـي البِعـادِ زَادَا
٢ – ونَظـرةٌ منكـم المُنى لو أهـدَيتُمُـوها الـيَّ زَادا
٣ – عَـهدٌ لنا عندكم حَميدٌ يـاليتَـه بـالوصـال عـادا
٤ – صَـادَقَ فيه الكَرى جُفوني وبَعدَكمْ للجِـفونِ عـادَى

(١١) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٥.

(١٢)

وقال يهجو ابن رشد (*) :

(من مخلع البسيط)

١ ــ لم تَلزمِ الرُّشدَ يابنَ رشدِ   لما علا في الزّمانِ جَدُّك

٢ ــ وكنتَ في الدّين ذا رياءٍ   ماهكذا كانَ فيه جَدّك

---

(١٢) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠

(*) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن احمد بن رشد الحفيد .فقيه حافظ مشهور شارك في علوم جمة وعرف بالطب والفلسفة تولى القضاء باشبيلية ثم بقرطبة . له كتب كثيرة نكب سنة ٥٩٣ هـ زمن المنصور الموحدي ،ولد سنة ٥٢٠ هـ وتوفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ ينظر : المعجب ٣١٤ – ٣١٦ ، ٣٨٤ – ٣٨٥ ، التكملة رقم ٣٧٨ ، المغرب ١/١٠٤ – ١٠٥ ،الذيل والتكملة ٦/ ٢١– ٣١ ، الوافي بالوفيات ١/١١٤ ، والتكملة ٦/٢١ – ٣١ الوافي بالوفيات ١/ ١١٤ ، الديباج المذهب ٢٨٤ ، النجوم الزاهرة ٦/١٥٤ .

(١٣)

وله وقد هجره محبوبه :   (من السريع)

١ ــ يارشأ حظِّيَ إبعادهُ   وحظ غَيرىَ منه إسعاده

٢ ــ خبتُ وكلٌّ نال منكَ العُلى   أسعد أهل الحب أوغاده

٣ ــ بي ظمأٌ بَرّح لكنّه   زهد في المَوردِ ورّاده

---

(١٣) زاد المسافر ١١٤

(١٤)

وقال (*):

(من الكامل)

١ – أفقيهنا المستن ديناً والذي ‏ شهدت له بالفضل منه شواهد

٢ – لو تبصر ابن سعادة ونديمه ‏ قد حل بينهما الغزال الشارد

٣ – لرأيت من ثقل عليك وخفة ‏ جبلين بينهما نسيم راكد

(١٤) زاد المسافر : ١١٤

(*) المرجح لدينا ان الأبيات في ابن رشد.

٢- ابن سعادة هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ، مرسي سكن شاطبة وبلنسية وسمع عن شيوخ زمانه ومنهم ابو الوليد بن رشد ، رحل إلى المشرق سنة ٥٢٠ هـ، وكان مشاركاً في علوم كثيرة موصوفاً بها وقد حدث عن عمه ابي عمران موسى بن سعادة ولد سنة ٤٩٦ هـ وتوفي سنة ٥٦٦ هـ التكملة ٢/ ٥٠٥ نفح اليب ٢/ ١٥٨ .

(١٥)

وقال في الشكوى من الزمان والحكمة:

(من الطويل)

١ – صبرت على غدر الزمان وحقده ‏ وشاب لي السم الزعاف بشهده

٢ – وجربت إخوان الزمان فلم أجد ‏ صديقاً جميل الغيب في حال بعده

٣ – وكم صاحب عاشرته وألفته ‏ فما دام لي يوماً على حسن عهده

٥ -- وأغرب من عنقاء في الدهر مغرب ‏ أخو ثقة يسقيك صافي وده

٦ -- بنفسك صادم كل امر تريده ‏ فليس مضاء السيف الا بحده

٧ – وعزمك جرد عند كل مهمة ‏ فما نافع مكث الحسام بغمده

٨ – وشاهدت في الأسفار كل عجيبة ‏ فلم أر من نال جدا بجده

٩ – فكن ذا اقتصاد في امورك كلها ‏ فأحسن احوال الفتى حسن قصده

١٠ – وما يحرم الانسان رزقاً لعجزه ‏ كما لاينال الرزق يوماً بكده

١١ – حظوظ الفتى من شقوة وسعادة ‏ جرت بقضاء لاسبيل لرده

(١٥) نفح الطيب ٢/ ٤٩٠- ٤٩١

٥- العنقاء : الداهية يضرب بها المثل

(١٦)

قال في ذم الفلاسفة: (من مخلع البسيط)

١ ـ قد ثبّتَ الغّي في العباد طائفةُ الكونِ والفسادِ

٢ ـ يلعنها الله حيثُ كانت فإنها آفةُ العبادِ

٤ ـ دهريةٌ لايرون رسلاً ولا يقرون بالمعاد

٣ ـ يعتقدون الامورَ دوراً والناسَ كالزرع والحصاد

(١٦) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١١

٤ ـ المراد بالدور عند الفلاسفة توقف الشيء على مايتوقف عليه ، ويسمى الدور المصرح كما يتوقف أ على ب وبالعكس او بمراتب ويسمى الدور المضمر كما يتوقف أ على ب وب على ج وج على أ ، التعريفات ٩٤ .

(الراء)

(١٧)

وقال : (من المتقارب)

١ ـ صنِ العقلَ عنلحظة في هوى فان البصيرةَ طوعُ البصرْ

٢ ـ وغضّ الجفون على عفةٍ فإنّ زناءَ العيونِ النظرْ

(١٧) رحلة العبدري : ٧٠

٢ ـ عجز البيت فيه اقتباس من الحديث الشريف : « ان الله كتب على ابن ادم حظّهُ من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر .. » سنن أبي داود ١/ ٤٩٦ .

(١٨)

وكان من اهل المروءات في حقوق الاخوان وفي ذلك يقول :

(من الرمل)

١ ـ يحسب الناس بأني متعب في الشفاعات وتكليف الورى

٢ ـ والذي يتعبهم من ذاك لي راحةٌ في غيرها لن أفكرا

٣ ـ وبودى لو أقضيّ العمر في خدمةِ الطلابِ حتى في الكرى

(١٨) نفح الطيب ٢/٤٨٨

(١٩)

ومن وصاياه النافعة وآدابه الجامعة قوله : (*) (من الطويل)

١ — من الله فاسأل كل شي تريده   فما يملك الانسان نفعاً ولاضرا
٢ — ولاتتواضع للولاة فانهم   من الكبر في حالٍ تموجُ بهم سكرا
٣ — وإياك ان ترضى بتقبيل راحة   فقد قيل فيها إنها السجدة الصغرى

(١٩) رحلة العبدري : ٧٠ الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٣ ،نفخ الطيب ٢/ ٤٩١ — ٤٩٢ .

(*) قال العبدري ص ٧١ « ونهيه عن التواضع للولاة حكم شرعي قال (ص) من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه» : واری هذا الحديث مبيناً على الحديث الآخر وهو قوله (ص) : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه من سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا الله وان يكره ان يعود في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار » .

١ — العبدري : «كل أمر»

٢ — النفح : « قيل عنها »

(٢٠)

قال في حب النبي وآل بيته : (من الطويل)

١ — أحب النبي المصطفى وابنَ عمه   علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا
٢ — هم اهل بيت أذهب الرجس عنهم   وأطلعهم افق الهدى انجماً زهرا
٣ — موالاتهم فرض على كل مسلم   وحبهم اسنى الذخائر للأخرى
٤ — وما انا للصحب الكرام بمبغض   فاني ارى البغضاء في حقهم كفرا
٥ — هم «جاهدوا في الله حق جهاده»   وهم نصروا دين الهدى بالظبى نصرا
٦ — عليهم سلام الله مادام ذكرهم   لدى الملأ الاعلى واكرم به ذكرا

(٢٠) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٦

٣ — في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت..» الاحزاب : ٣٣

٥ — الظبى ، جمع ظبة وهي حد السيف أو السنان وفي صدر البيت اقتباس من القرآن الكريم الحج ٧٨ .

(٢١)

قال ، وقد تذكر طيبة على ساكنها الصلاة والسلام : (من المجتث) .

١ ـ يا أهـل طيبـة قلـبي عـن منهـج الصبر جَارا
٢ ـ اشكو اليكـم زمانا عـلي بالبـين جَـارا
٣ ـ وبعدكم لست ارضى مـن البريـة جَـارا
٤ ـ ودمع عيني عليـكم لأدمـعِ المـزنِ جـارى

(٢١) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٥

١ ـ جار في البيت الأول بمعنى سقط وتهدم وفي الثاني بمعنى ظلم وتجاوز وفي الثالث من الجيرة والجيران وفي الرابع من المجاراة بعنى المراعاة.

(٢٢)

وقال وقد شارف المدينة المكرمة على ساكنها الصلاة والسلام (*)

(من المتقارب)

١ ـ أقول وآنستُ بالليل نارا لعل سِراجَ الهدى قد انارا
٢ ـ وإلا فما بالُ افق الدجى كأن سَنَاَ البرق فيه استطارا
٣ ـ ونحن من الليل في حندسٍ فمـا بالـه قـد تجلّى نهـارا
٤ ـ وهذا النسيم شذا المِسك قد اعير ام المِسك منه استعارا
٥ ـ وكانت رواحلُنا تشتكي وجاهاً فقد سابقتنا ابتـدارا

* ذكر العبدري انه نظمها ارتجالا حين ترأت له المدينة وكان وصوله لها في ٣ محرم سنة ٥٨٠ هـ انظر الرحلة ص ١٦٧ .

(٢٢) رحلة العبدري ٩٦ ـ ٩٨ ، « ١ ـ ٣٣ » الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٢ ـ ٦٠٣ « ١ ـ ٢٣ » الاحاطة ٢/٢٣٥ ـ ٢٣٦ « ١ ـ ٣٣ » عدا البيت ١٣ ، نفح الطيب ٢/٤٨٧ « ١ ـ ٣ »

١ ـ في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : « اني آنست نارا .. » طه : ١٠

٥ ـ العبدري « وجا فلقد » والوجى أن يشتكي البعير باطن خفه ، والوجاء : العدول الصغار ، والابتدار : الاسراع والمعاجلة .

٦ — وكنا شكونا عناء السرّى فَعدُنا نبارى سِراعَ المَهارى

٧ — اظنّ النُّفوسَ قد استَشعَرَت بلوغَ هوى تخذَتْه شعارا

٨ — بشائِرُ صُبحِ السرى آذنت بأنَّ الحبيبَ تَداني مَزَارا

٩ — جرَىَ ذِكر طَيبةَ مابَينَنَا فلا قَلبَ في الرّكبِ الا وطَارا

١٠ — حنيناً إلى أحمدَ المصطفى وشوقاً يَهيجُ الضُّلوعَ استعارا

١١ — ولاح لنا احدٌ مشرقاً بنورِ من الشُّهداء استنارا

١٢ — فمن اجلِ ذلك ظلَّ الدُجي يحُلُّ عقودَ النجوم انتثارا

١٣ — ومن ذلكَ الترب طابَ النّسيم نشراً وعمَّ الجنابَ انتشارا

١٤ — ومن طرب الركب حثَّ الخطى اليها ونادى البِدار البِدارا

١٥ — ولما حَللْنا فِناء الرّسول نَزلنا بأَكرمِ خلقٍ جِوارا

١٦ — وحينَ دنونا لفَرْض السّلامِ قَصَرْنا الخُطى ولَزمنا الوَقارا

١٧ — فمانرسل اللحظ الا اختلاسا ولانرفَع الطّرف الاّ انكسَارا

١٨ — ولانظهِرُ الوَجدَ الا اكتتافاً ولانلفِظُ القولَ إلاسرارا

١٩ — سوى اننا لم نطق أعيناً بأدمُعِها غَلبَتنَا انفجَارا

٢٠ — وقَفنَا بروضَتِه للسّلام نعيدُ السّلام عليه مرارا

٢١ — ولولا مَهابته في النّفوس لَثِمنا الثّرى والتزَمنَا الجِدَارا

٢٢ — قضينا بزورتنا حجّنا وبالعُمرينِ ختمنا اعتِمَارا

---

٨ — العبدري : « تباشير »

١٤ — العبدري « طرب الشرب » والبدار كالمبادرة والابتدار ، والاسراع والاستباق

١٥ — الاحاطة « باكرم مجدٍ »

١٧ — الاحاطة « ولا نرجع الطرف »

١٨ — السرار والسرارة بفتح السين . السر وهو جوف كل شيء

٢٠ — الاحاطة : « وقفنا بروضة دار السلام »

٢١ — العبدري « ولزمنا »

٢٢ — العبدري « بعمرتنا حجنا ،وبالعمرتين » وفيه تحريف . الاحاطة : « بزوته حجنا » وبالعمرتين » وفيه تحريف ايضاً .

٢٣ ـ اليك اليك نبي الُهدى ... َركبتُ البِحار وجبتُ القِفارا
٢٤ ـ وفارقتُ أهلي ولا منّةٌ ... ورُبَ كَلامٍ يَجرُ اعتِذارا
٢٥ ـ وكيفَ نمنُ على من بِه ... نُؤَمِلُ للسّيئات اغتفارا
٢٦ ـ دَعاني اليك هوى كامِن ... أثارَ من الشّوق ماقد أثارا
٢٧ ـ فناديتُ لبّيكَ داعِي الهوَى ... وماكنت عنك اطيقُ اصطِبارا
٢٨ ـ ووطنت نفسي لحكم الهوى ... علي وقلتُ رَضِيت اختِيارا
٢٩ ـ اخوض الدجى واروض السرى ... ولا اُطعمُ النّوم الا غِرارا
٣٠ ـ ولو كنت لااستطيع السبيل ... لطِرت ولو لم اصادِفْ مَطَارا
٣١ ـ وأجدر من نال منك الرِّضى ... محِبُ ذُراكَ على البُعد زارا
٣٢ ـ عسى لحظةٌ منك لي في غدٍ ... تُمهِّد لي في الجِنان القَرارا
٣٣ ـ فما ضَل من بُهداك اهتَدى ... ولاذلّ من بذراكَ استجَارا

٢٥ ـ العبدري « يمن »
٢٧ ـ الا حاطة « فناديتك لبيك » وبها يكسر الوزن « العبدري « وهل كنت »
٢٨ ـ العبدري « بحكم الهوى »
٢٩ ـ العبدري « نطعم »
٣٠ ـ العبدري : سقطت « لطرت » وفيه « ولما اصادف »
٣١ ـ العبدري : « نحب ثواك» وهو تحريف ، الا حاطة « محب ثراك »
٣٢ ـ الا حاطة « من بمسراك اعتدى » واستجار : طلب المعونة ودفع الظلم .

(٢٣)

وقال وهو في زيارة قبره (صلى الله عليه وسلم):
١ ـ هنيئاً لمن حج بيت الهدى ... وحطَّ عنِ النفس أوزارها
٢ ـ وإنّ السّعادة مضمونَةٌ ... لمن حلّ طيبة أوزارها

(٢٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٤ . الا حاطة ٢/٢٣٦ - ٢٣٧ ، نفح الطيب ٢/٤٩٣ قال
قال شكيب ارسلا ن في الحلل السندسية ٣/١٢٠ « هذا الجناس المركب قد ورد ايضا في شعر
آخر ،فقد قيل في قبر محي الدين بن عربي في صالحية الشام :
قبر محيي الدين بن عربي ... كل من لا ذابه اوزاره
قضيت حاجاته من بعدما ... غفر الله له اوزاره
٢ ـ الا حاطة والنفح « حج طيبة »

(٢٤)

(من السريع)

وقال في الولاة واحوالهم :

١ ـ من كُبِّرتْ عن قدره خُطَّةٌ داخَلَهُ من أَجلها الكِبْرُ
٢ ـ ومن سَمت همّته لم يَكُن لخطّةٍ في نفسه قَدْرُ
٣ ـ ولايةُ الانسانِ سَكرٌ فَما دامَتْ له دام به السُّكْرُ
٤ ـ مغايظ الدُّنيا وأربابها ليس عليها لامرىءٍ صبْر
٥ ـ دعهم مع الدهر واحداثِه حتّى ترى مايصنعُ الدَّهر

(٢٤) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٣

٤ ـ الغيظ : الغضب او اشده او سورته ، والمغايظ ، مايدعو الرجل للغيظ

(٢٥)

وقال في الشكوى من الدهر : (من مجزوء الوافر)

١ ـ أما في الدّهر معتَبر ففيه الصفو والكدر
٢ ـ فسلني عن تقلبه فعند جُهينة الخبر
٣ ـ صحبناه إلى أجلٍ نُراقبه ونَحتَذِرُ
٤ ـ فياعجبًا لمرتحلٍ ولايدري متى السفر

(٢٥) رحلة العبدري ٩٨ .

٢ ـ في عجز البيت تضمين من المثل المشهور : « عند جهينة الخبر اليقين » مجمع الأمثال ٣/٢

(٢٦)

وقال في ذم الفلاسفة : (من السريع)

١ ـ قد ظهرت في عصرنا فرقةٌ ظهورها شؤم على العصر
٢ ـ لاتقتدي في الدِّينِ إلا بما سَنَّ ابن سينا وأبو نصر

(٢٦) نفح الطيب ٢/٣٨٥

٢ ـ يريد الفيلسوفين المشهورين ، ابن سينا وابا نصر الفارابي

(٢٧)

وقال في النقد الاجتماعي وذم الزمان: (من المديد)

١ ــ ربَّ إن لم تؤتني سَعَــة … فاطو عنّي فضلةَ العمــرِ
٢ ــ لا أحب اللبثَ في زمــنٍ … حاجتي فيه إلى البشــر
٣ ــ فهُمُ كسرٌ لمنجَبِــر … ماهمُ جَبرٌ لمنكســرِ

(٢٧) نفح الطيب ٢/ ٤٩٢

(٢٨)

قال في الصوت الحسن وسماعه: (من الطويل)

١ ــ زيادة حسن الصوت في الخلق زينة … يروقُ بها لحن القريض المحبر
٢ ــ ومن لم يحركه السماع بطيبـة … فذلك أعمى القلب أعمى التصور
٣ ــ تصيخ إلى الحادي الجمال لواغباً … فتوضع في بيدائها غير حسر
٤ ــ ولله في الارواح عند ارتياحها … إلى اللحن سر للورى غير مظهر
٥ ــ وكل امرىء عابَ السّماع فانه … من الجهل في عشوائه غير مبصر
٦ ــ وأهل الحجاً أهل الحجاز وكلهمْ … رأوه مباحاً عندهم غيرَ منكرِ
٧ وهامَ به أهل التّصوف رغبةً … لتهييج شوق ناره لم تسعرِ
٨ ــ فان رسولَ الله قد قال زَينّوا … بأصوا تكم آي الكتاب المطهر
٩ ــ وزانت لداوود النبيِّ زبـوره … مزامِـيرُه بالنّوح في كل محضر
١٠ ــ وفي الخلد إسرافيل يسمع أهله … فيسليهم المسموعُ عن كل منظر
١١ ــ فان أك مغرى بالسّماع وحسنه … فحسبي اقتداء بالكريم ابن جعفرِ

(٢٨) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٥ ــ ٦١٦ .

١١ ــ الأبيات تشير إلى مذهب ابن جبير في اباحه الغناء وبعض حججه في ذلك اباحة أهل الحجاز له ، وابن جعفر هو عبدالله بن جعفر بن ابي طالب اول من ولد من المسلمين بارض الحبشة عاش في البصرة والكوفة والشام سمي ببحر الجود لكرمه واتصل به الشاعر أبن قيس الرقيات وانقطع له وكان عبدالله يصله ولا يقضي عنه دينه ولم ير بسماع الغناء بأساً واجتمع عنده عدد من المغنيين منهم : طويس وسائب ونشيط وبديح . . . انظر فوات الوفيات ١/ ١٧٠ تأريخ الموسيقى العربية (فارمر) ٦٢ــ ٦٩ واخباره في الأغاني والعقد الفريد والكامل.

(٢٩)

قال يكشف عن خلقه الكريم : (من المتقارب)

١ — واني لأُوثر من أصطفي وأغضي على زلة العاثر

٢ — وأهوى الزيارةَ ممنْ أُحبّ لاعتقد الفضلَ للزائر

(٢٩) نفح الطيب ٢/ ٩٠

(٣٠)

وقال يمدح صلاح الدين الايوبي (*) : (من التقارب)

١ — اطلت على افقك الزاهر سعود من الفلك الدائر

٢ — فأبشر فان رقاب العدا تمد إلى سيفك الباتر

٣ — وعما قليل يحل الردى بكندهم الناكث الغادر

٤ — وتخصب الورى يوم تسقى الثرى سحائب من دمها الهامر

٥ — فكم لك من فتكة فيهم حكت فتكة الاسد الخادر

(٣٠) الروضتين ٢/١٠٥ — ١٠٦ « ١ ، ٢ ، ٥ — ٢٤ » ٢/٤—٥ « ٢٥ — ٥٦»
رحلة العبدري : ٩٤— ٩٦ « ١— ٢٥ ، ٢٨ — ٥٦ » الذيل والتكملة ٥/٢/٥٩٨—٦٠١»
١—٢٥ ، ٢٨ — ٥٦ » نفح الطيب ٢/ ٣٨٣ « ١، ٢٥ — ٢٨)

(*) في البيتين ١٩ و ٢٠ اشارة إلى أن القصيدة نظمت بعد فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ أي بعد رحلته الثانية سنة ٥٨٥ هـ حيث يتوجه إلى صلاح الدين مهنئاً ،وفيها اشارة إلى رفع صلاح الدين المكوس عن الحجاج الذاهبين إلى الحجاز ، ارخ ذلك ابو شامة المقدسي بسنة ٥٧٢ هـ (الروضتين ٢/ ٤) وقد نال الحجاج أذى من رجال الأمن في الاسكندرية، ولذلك يورد العبدري وابو عبد الملك المراكشي القصيدة على انها مما قاله في الاسكندرية (ذي الحجة ٥٧٨ هـ) تنظر الرحلة ١٣ — ١٤ ومقدمة د. محمد مصطفى زيادة الرحلة ١٧ و« الرحالة المسلمون في القرون الوسطى ٧٤ ».

٣ — الكند بضم فسكون فكسر ، كلمة اسبانية (conde) اصلها في اللاتينية(comes) والتي عرفت كذلك عند عرب الاندلس بلفظة قومس وهو لقب شرف عند النصارى ورتبة لرؤساء الجيوش من الامراء ، والكند اليوم في المراتب الشريفة يأتي بعد المركيز وقبل البارون (رحلة العبدري ٩٤ هامش ١)

٥ — الروضتين « وكم»

٦ ــ كسرت صليبهم عنــوة فللــه درُّك من كاســـر
٧ ــ وغيرت آثارهم كلهـــا فليس لها الدهر من جابر
٨ ــ وأمضيت جدك في غزوهم فتعســـاً لجدهم العاثـــر
٩ ــ فأدبر ملكهم بالشـــآم وولى كـأمسـهم الدابـــر
١٠ ــ جنودك بالرعب منصورة فناجز متى شئت أو صابر
١١ ــ فكلهم غـارق هـالك بتيـــار عسكرك الزاخـــر
١٢ ــ ثأرت لدين الهدى في العدا فآثـرك الله من ثائـــر
١٣ ــ وقمت بنصر إله الورى فســـماك بالملك النـــاصر
١٤ ــ وجاهدت مجتهدا صابراً فلله درك من صابـــر
١٥ ــ تبيت الملوك علـى فرشها وترفل في الزرد السابـــرى
١٦ ــ وتوثر جاهد عيش الجهاد على طيب عيشهم الناضـــر
١٧ ــ وتسهر جفنك في حق من سيرضيك في جفنك الساخـر
١٨ ــ فتحت المقدس من ارضـــه فعادت إلى وصفهـــا الطاهـــر
١٩ ــ وجبت إلى قدسه المرتضى فخلصته من يد الكافـــر
٢٠ــ وأعليت فيه منار الهدى وأحييت من رسمه الدائـــر
٢١ــ لكم ذخر الله هذي الفتوح من الزمن الاول الغابـــر
٢٢ــ وخصك من بعد مازرته بها لاصطناعك في الآخـــر
٢٣ــ محبتكم القيت في النفوس بذكر لكم في الورى طائر

---

٩ ــ الروضتين « وأدبر »
١٠ ــ العبدري « فناحز » وهو تصحيف والمناجزة : المقاتلة وفي صدر البيت اقتباس من الحديث الشريف ونصه، « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وارسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون » صحيح مسلم ١/ ٣٧١
١١ ــ الروضتين والذيل « غرق »
١٤ ــ الروضتين « فلله أجـك »
١٥ ــ الذيل « السابر »

٢٤– فكــم عند ذكر الملوك لهــم … بمثلك من مثـــل سائــــــر
٢٥– رفعت مغارم أهل الحجـاز … بانعـامك الشامل الهامـــر
٢٦– وأمّنت أكنافَ تلك البـــلاد … فهان السّبيـــل على العابـــرِ
٢٧– وسحبُ أياديكَ فيّاضـــة … على واردٍ وعلى صـادر
٢٨– فكْم لك بالشرق من حـامدٍ … وكم لك بالغربِ من شاكـــر
٢٩– وكم بالدُّعاء لكم كل عامٍ … بمكة من معلنٍ جـاهـــر
٣٠– وكم بقيتْ حسبةٌ في الظّلوم … وتلك الذّخيرةُ للذّاخـــر
٣١– يعـنف حجاج بيتِ الإلـــه … ويسطو بهم سطوةَ الجائـــر
٣٢– ويكشف عما بأيديهـــمُ … وناهيـك عن موقف صاغـــر
٣٣– وقد أُوقفوا بعدما كوشفـوا … كأنهم في يد الآســـــر
٣٤– ويُلزمهمْ حلفاً باطـلاً … وعُقبى اليمين على الفاجـــر
٣٥– وإن عرضت بينهم حُرْمَةٌ … فليس لها عنه من ساتـــر
٣٦– أليس يخاف غداً عرضَـــهُ … على الملك القادر القاهـــر
٣٧– وليسَ على حُرَمِ المسلمين … بتلك المشاهد من غائـــر
٣٨– ولا حاضر نافع زجـــره … فياذلة الحـاضر الزاجـــر
٣٩– الا ناصحٌ مبلغ نصحــه … إلى الملك النـاصر الظافـــر
٤٠– ظلوم تضمّن مال الزكاة … لقد تعست صفقة الخاسـر
٤١– يُسِـر الخيانةَ في باطــن … ويبدي النصيحة في الظاهـــر

---

٢٤ – الذيل « فكم لهم عند ذكر الملوك » ، الروضتين : « لمثلك »
٢٥ – الروضتين والنفح « مكس الحجاز »
٣٠ – الروضتين « وقد بقيت .. في فلا ن »
٣٣ – الذيل « وقفوا » الروضتين « وقفوا بعدما كوشفوا »
٣٧ – الروضتين « اليس » « من غابر »
٣٨ – الروضتين « الا فيا ذلة الشاهد الحاضر » .
٤١ – الذيل « في ظاهر»

٤٢ـ فأوقعْ به حَادثاً أَنــــه ... يقبّح أحدوثـــة الذاكــر
٤٣ـ فما للمناكِر من زَاجــــر ... سواك وبالعرفِ من آمـــر
٤٤ـ وحاشاك إن لم تزل رسمَها ... فما بالك في النّاس من غَـادِرِ
٤٥ـ ورفعك أمثالهـا موسِـع ... رداء فخارِك للنّاشـــر
٤٦ـ وآثارك الغرّ تبقى بهــــا ... وتلك المآثـر للآثــــر
٤٧ـ نذرتُ النّصيحة في حقّكم ... وحق الـوَفاء على النّـاذِرِ
٤٨ـ وحبك أنطـقَـنـي بالقريـض ... وما أبتـغـي صِلَـة الشّاعـر
٤٩ـ ولا كانَ في ما مضى مكسَبي ... وبئسَ البِضاعَـةُ للتّاجـر
٥٠ـ إذا الشّعـر صارَ شِعار الفتى ... فَناهيك من لقب شاهِـر
٥١ـ وإن كان نَظمِي له نَـادرا ... فقد قيل : لا حكمَ للنـادر
٥٢ـ ولكنّهـا خطرات الهَـوى ... تَعِنَ فتلعَبُ بالخَاطِـر
٥٣ـ وأما رقـد زارَ تلك العلا ... فقد فازَ بالشّرف البَاهـر
٥٤ـ وان كانَ منك قبولٌ لـــه ... فتلك الكرامةُ للزائــــر
٥٥ـ ويكفيه سمعكَ من سامعٍ ... ويكفيه لحظكَ من ناظِـرِ
٥٦ـ ويُزهى على الرّوضِ غبّ الحيا ... بما حَازَ من ذِكرِكَ العَاطِرِ

٤٢ ـ الروضتين « فما للمناكير »
٤٤ ـ الروضتين « فمالك »
٥٢ ـ الذيل « تعن فتغلب للخاطر »
٥٥ ـ العبدري : سقطت ((سمعك)) واول العجز ((ويكفيك خطك)) .

السين

(٣١) ... (من الخفيف)

١ـ ايهـا المستطيل بالبغي أقصر ... ربما طَـأطَـأ الزّمـان الرّؤوسا
٢ـ وتذكّر قول الالـه تعالـى ... «إن قارونَ كان من قَوم موسى»

(٣١) رحلة العبدري ٧١ ، نفح الطيب ٢/ ٤٩٢ وانظر هامش ١ حيث يذكر المحقق ان بعض نسخ النفح تنسبها له
١ ـ في العجز اقتباس من القرآن الكريم سورة القصص ٧٧ .

آ/٣٢/٠

(٣٢) (من الكامل)

قال في حبيبة وقد جلس بين ثقيلين :

١– لو كنت تبصر منذ يوم قد نأى ... تيسين ضمّهما وظبيا مجلس
٢– لعَجبتَ قُبحاً منهما وملاحة ... منه وقلت حظيرة ام مكنِس ؟

(٣٢) زاد المسافر ١١٤ .
١ – التيس : الذكر في المعز
٢ – المكنس : موضع الظبي في الشجر يكتن فيه ويستتر .

(٣٣)

وقال وقد لاحت له جبال دانيه على ظهر البحر وهو قافل من رحلته الاولى سنة ٥٨١ :

(من البسيط)

١– لي نحو أرض المنى من شرق اندلسِ ... شَوق يؤلفُ بين الماء والقبس
٢– لاحت لنا من ذراها الشُم شاهقة ... تدني لزهر الدّراري كفَّ ملتَمِس
٣– وقد اغذت بنا في اليّم جارية ... سَوداءَ لاتستطيعُ الجَرَى في يَبَسِ
٤– كأنها وعباب الماءِ يزعجها ... تنص جيدَ مراعي اللحظ مختلس
٥– كأن بيضٍ نواحيها اذ انتشَرت ... لواءُ صُبح بدا في سدفَة الغَلَس
٦ – تنازعَ الرّيح منها صَعبَ مقوَدها ... فترتمي بِعنان مسمح سَلْس
٧ – لولا حِذاري ان اذكي لها لَهبًا ... زَجّيتها برياحِ الشّوق في نفس
٨ – ياليت شِعري والآمال معوزة ... وربّما امكنتْ يوماً لمختلسِ
٩ – هل يدنونَ مزارُ الشّوق ان به ... ماشئتِ من نهزٍ للأُنس او خلَسِ
١٠ – وهل تعوَدن ايامٌ رشفتُ بها ... سلافة العيش احلى من جنى اللّعس
١١ – حيث انبسطنامع اللذات تَنقلنا ... ايدي المسرات من عيد إلى عرُسِ

(٣٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٤–٦٠٥ «١–١١» نفح الطيب ٢/٤٨٩ «١»
١ – القبس : شعلة من النار
٥ – السدفة : الظلمة وهي من الاضداد. والغلس : ظلمة آخر الليل
٧ – زجى وأزجى بمعنى ساق ودفع
١٠ – السلاف : ماسال من عصير العنب قبل أن يعصر والخمر وسلافة كل شيء عصرته واوله واللعس : لون الشفة تضرب إلى السواد وهو يستملح .

(من الوافر)

(٣٤)

وقال يخاطب ابا عمران الزاهد(*) باشبيلية :

١ـ ابا عِـمْرانَ قد خلّفْتُ قلبي   لَديكَ وانت اهلُ للوديعهْ

٢ـ صحبت بِكَ الزّمانَ اخا وفاء   فها هو قَدْ تَنَمّرَ للفظيعـــه

(٣٤) نفح الطيب ٢/٤٨٧ –٤٨٨ .

(*) ابو عمران موسى بن عمران المارتلي ، و (مارتلة) من حصون باجة ، كان ورعاً زاهداً عابداً له حظ وافر في شعر الزهد ، لازم مسجده باشبيلية سنة ٦٠٤ د(التكملة ٢/٧٥٤ ، المغرب ١/٤٠٦ ، الغصون اليانعة ١٣٥)

(من مخلع البسيط)

(٣٥)

قال يهجو الدهريين :

١ ـ ضلت بأفعالها الشنيعـــهْ   طائفة عن هدى الشريعـــهْ

٢ ـ ليست ترى فاعلاً حكيمـاً   يفعل شيئا سوى الطبيعـهْ

(٣٥) نفح الطيب ٢/ ٣٨٥ .

(من البسيط)

(٣٦)

وقال في الزهد :

١ ـ عجبتُ للمرء في دنياهُ تطمعـهُ   في العَيشُ والأجلُ المحتوم يقطعهُ

٢ ـ يُمسي ويصبحُ في عَشواءَ يخبطها   اعمى البَصيرة والآمالُ تزرعه

٣ ـ يَغتر بالدّهرِ مَسروراً بصحبته   وقد تيقّن ان الدّهرَ يَصرعه

٤ ـ ويجمع المالَ حرصاً لايفارقـهُ   وقد درى انه للغَير يجمعـــه

٥ ـ تراه يشفق من تَضييع درهمـهِ   وليسَ يشفق من دينٍ يُضيّعه

٦ ـ وأسوأ الناسِ تدبيراً لعاقبـــةٍ   من انفقَ العمر فيما ليس ينفعه

(٣٦) نفح الطيب ٢/ ٤٩٠ .

(من الطويل)

(٣٧)

وقال وهو يودع اهله :

١ـ اقول وقد حانَ الوَداعُ وأسلمتْ   قلوبٌ إلى حكم الاسى ومدامعُ

٢ـ ايارب اهلي في يَديك وديعةٌ   وما عَدِمَتْ صوناً لديك الودائعُ

(٣٧) نفح الطيب ٢/ ٤٨٥

(٣٨)

(من السريع)

وقال يهجو ابن رشد (*)

١ــ الحمد لله على نصره لفرقة الحق وأشياعه
٢ــ كان ابنُ رشد في مدى غيه قد وضعَ الدّين باوضاعه
٣ــ حتى اذا اوضع في طُرقِه توّى لفيه عند ايضاعه
٤ــ فالحمدُ لله على اخذه واخذ من كان من اتباعه

(٣٨) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠

(*) تقدمت ترجمة ابن رشد انظر هامش ق ١٢.

٢ – وضع الرجل في تجارته : صار وضيعا ، ووضع عنه : حط من قدره

٣ – اوضع بين القوم ، افسد ، الوضع ضرب من سير الابل دون الشدة ووضع البعير إذا عدا والايضاع سير مثل الخبب يقال : « قد اوضعت منذ ساعة » يضرب لمن ستبطىء قضاء حاجته ولم تبطؤ بعد التوى مقصور الهلاك وهلاك المال .

الفاء

(٣٩)

(من مخلع البسيط)

وقال في نكبة ابن رشد

١ــ الآن قد ايقنَ ابنُ رُشدِ انَّ تواليفَه تَوالِفْ
٢ــ يا ظالماً نفسَه : تأمل! هل تَجد اليوم من يوالِفْ؟

(٣٩) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠

(٤٠)

(من السريع)

وقال يهجو الفلاسفة

١ــ يا وحشة الاسلام من فرقة شاغلةٌ انفسها بالسفهْ
٢ــ قد نبذَتْ دين الهدى خلفها وادّعت الحكمةَ والفلسفه

(٤٠) نفح الطيب ٢/ ٣٨٥ .

(٤١)

وقال يصف القلم من قصيدة : (من الكامل) :

١ ــ قلم به الاقليم أَصبح في حمىٍ ... بشباته صرف الحوادث يُصرَف
٢ ــ ولئن تقاصر قدّه فلقدّه ... ظلّت له الأسل الطِّوال تقصّف
٣ ــ هل تغنينّ المرهفات غناءه ... وصليلها لصريره يستضعف
٤ ــ حَكَت الظُّبا والسمر فعلامنه لو (م) لاه لعطِّلَ صارمٌ ومُثقّف
٥ ــ طعن كمثل النقط منضافٌ إلى ... ضَربٍ كما شُكِلَتْ بنقط أحرف
٦ ــ كلٌ يتيهُ بأن حوى شبهاً له ... فانظر إلى المحكي فهو الأشرف
٧ ــ يكفيه فخراً أَنّ كلّ مقدّرٍ ... يجري بما قد خطّه ويصرِّف

(٤١) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٠

١ ــ شباة كل شيء حد طرفه

(القــــــاف)

(٤٢)

قال يمدح المنصور ويعرض بابن رشد (من مخلع البسيط)

١ ــ خليفة الله أَنتَ حقاً ... فارق من السّعد خير مرقى
٢ ــ حميتَم الدّين من عِداه ... وكلٍّ من رام فية فتقا
٣ ــ أَطلعك الله سرّ قوم ... شقوا العصا بالنفاق شقا
٤ ــ تَفَلْسَفوا وادّعوا علوماً ... صاحبها في المعادِ يشقى
٥ ــ واحتقروا الشّرعَ وازدروه ... سفاهة منهم وحُمْقَا
٦ ــ اوسعتهم لعنةً وخزياً ... وقلتَ: بعداً لهم وسُحْقَا
٧ ــ فابقَ للدينِ الاله كهفاً ... فإنه ما بقيت يبقى

(٤٢) الذيل والتكملة ٦/٣١ .

(٤٣)

وقال في الحكمة (من الطويل)

١ ــ عليك بكتمان المصائب واصطبر عليها فما أبقى الزّمان شفيقا
٢ ــ كفاك من الشكوى إلى الناس أنّها تسرُّ عدواً أو تسوء صديقا

(٤٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٢ ــ ٦١٣ ، الاحاطة ٢/ ٢٣٧ .
٣ ــ الاحاطة « كفاك بالشكوى » وبها يكسر البيت وفيها « أو تسيء »
الذيل : « انه تسر »

(٤٤)

وقال يهجو الفلاسفة : (من الكامل)

١ ــ نفذ القضاء بأخذ كل مموِّه متفلسف في دينه متزندقِ
٢ ــ بالمنطقِ اشتغلوا فقيل : حقيقة «إنّ البلآء موكلٌ بالمنطِـــق»

(٤٤) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠
١ ــ الأصل : « مرمه » وما اثبتناه جاء في بعض النسخ من الأصل
٢ ــ عجز البيت من الأمثال قائله ابو بكر الصديق (رض) في اللسان يجر على صاحبه مالا يشتهي وأصل المثل « أن لكل طامة طامة وان البلاء موكل بالمنطق » مجمع الأمثال ١/ ١٧ ــ ١٨ .

(٤٥)

قال في تفضيل المشرق على المغرب (من الكامل)

١ ــ لايستوي شرقُ البلاد وغربها الشرق حازَ الفضل باسترقاق
٢ ــ انظر لحالِ الشمس عندطلوعها زهراءَ تَصْحَب بهجةَ الاشراقِ
٣ ــ وانظُر لها عندَ الغُروب كئيبة صفراء تَعقب ظلمةَ الآفاقِ
٤ ــ وكفى بيومِ طُلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بوشكِ فراقِ

(٤٥) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٠ ــ ٦١١ ، الاحاطة ٢/ ٢٣٧
١ ــ الاحاطة « باستحقاق » وهو ابلغ
٢ ــ الاحاطة « انظر إلى جمال الشمس » وبها يكسر البيت
٣ ــ الاحاطة « وانظر اليها عند الغروب » وبها يكسر البيت
٤ ــ الاحاطة « بعزم فراق »

(اللام)

(٤٦)

ويقول : (*) (من المتقارب)

١ ـ أخلاءُ هذا الزمان الخؤونِ توالت عليهم حروف العلل
٢ ـ تغيّر إخوان هذا الزّمـان وكلٌّ صديقٍ عَراهُ الخلل
٣ ـ وكانوا قديماً على صحّة فقد داخلتهم حُروفُ العللِ
٤ ـ قضيت التّعجبَ من أمرهمً فصرتُ أطالِعُ بابَ البـدَل

(٤٦) نفح الطيب ٢/٣٨٤) «١-٤» ٢/٤٩١ « ٢-٤» انوار الربيع ٢/ ٢٨٧ « ٢- ٤»
(*) رأى المقرى بخط ابن سعيد رواية بيتين على وجه آخر:
ثكلـت أخلاء هذا الزمـان فمنـدي مما جنـوه خـلل
قضيت التعجب من شأنهم فصرت اطالع باب البـدل (ينظر نفح الطيب٢/٤٩١)
٣ - في الأبيات عيب من عيوب القافية هو (الايطاء) وهو اعادة كلمة الروى « العلل » لفظاً ومعنى بدون فاصلة سبعة ابيات
٤ - النفح ٢/٤٩١ « من بابهم »

(٤٧)

وقال يتشوق لأرض الحجاز وقبر النبي: (من المتقارب)

١ـ اذا بلغ المرء ارض الحجاز فقد نـال افضـل مأمله
٢ـ وان زار قبر نبي الهدى فقد أكمل الله مأمَّ لـه

(٤٧) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٤ الاحاطة ٢/٢٣٧ ،نفح الطيب ٢/٤٨٨
١ - النفح « بلغ العبد » وآخر البيت « مأم له »
٢ - النفح «فان زار » وآخر البيت « مأمله » الاحاطة : آخر البيتين بلفظ واحد « مأمله» وفي احدهما سهو من الناسخ

(٤٨)

قال في ذم الفلاسفة : (من الوافر).

١ـ لأشياع الفلاسفة اعتقاد يرون به عن الشرع انحلالا
٢ـ أباحوا كل محظور حرام وردوه لأنفسـهم حـلالا

٣– وما انتسبوا إلى الاسلام الا لصون دمائهم ان لاتسالا
٤– فيأتون المناكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى

(٤٨) الذيل والتكملة ٥/٢ ٦١١ .

٤ – في عجز البيت اقتباس من قوله تعالى « ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى » التوبة ٥٤

(٤٩)

وقال في الحكمة والخلق الاسلامي : (من السريع)

اياك والشهرة في ملبس والبس من الأثواب اسمالها
تواضع الأنسان في نفسه اشرف للنفس وأسمى لها

(٤٩) نفح الطيب ٤٥٨/٢ .

(٥٠)

قال يمدح امير المؤمنين المنصور الموحدي : (من الطويل)

١– بلغت امير المؤمنين مدى المنى لأنك قد بلغتنا مانؤمل
٢– قصدت إلى الاسلام تُعلي مناره ومقصدك الأسنى لدى الله يقبل
٣– تداركت دين الله في اخذ فرقة بمنطقهم كان البلاء موكل
٤– اثاروا على الدِّين الحنيفي فتنة لها نار غيّ في العقائد تشعل
٥– اقمتهم للناس يبرأ منهم ووجه الهدى من خزيهم يتهلّل
٦– وأوعزت في الاقطار بالبحث عنهم وعن كتبهم والسعي في ذاك اجمل
٧– وقد كان للسيف استباق اليهم ولكن مقام الخزى للنفس اقتل
٨– وآثرت درء الحد عنهم بشبهة لظاهر اسلام وحكمك اعدلُ

(٥٠) الذيل والتكملة ٣١/٦

٣ – يريد بالفرقة الفلاسفة وعلى رأسهم ابن رشد وقد تعرض له في قصائد كثيرة وفي عجز البيت اقتباس من المثل الذي قاله ابو بكر الصديق (رض) ق ٤٤ هامش (٢).

٨ – في ابن ماجة باب في الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات « ادفعوا الحدود ماوجدتم له مدفعاً وفي الترمذي – حدود : « ادرأوا الحدود مااستطعتم » .

(٥١)

وقال في الحكمـــــــــة : (من الطويل)

١ــ وكم فلتات للصّنائع تُتّقى عواقِبها إن لم تقع في محلِّها
٢ــ كذا شهوات المرءِ إنْ لم تكنْ له موافقة عادتْ عليها بكلهــا

(٥١) الذيل والتكملة : ٥/٢/٦٠٩

(٥٢)

وقال في الحكمـــــــة : (من البسيط)

١ــ الناس مثل ظروف حشوها صَبِرُ وفوق أفواهها شيء من العســل
٢ــ تغرُ ذائقهـا حتى إذا كشفت له تبين ماتحويه من دخــــل

(٥٢) نفح الطيب ٢/٤٩١
١ ــ الصبر : عصارة شجر مر

(٥٣)

وقال في الحكمة : (من الكامل)

لصنائع المعروف فلتة غافل إن لم تضعها في محل قابـــل
كالنفس في شهواتها ان لم تكن وفقاً لها عادت بضر عاجـل

(٥٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٩ ، الاحاطة ٢/ ٢٣٧
١ ــ الاحاطة « وصنائع المعروف فلتة عاقل » وفي اوله تحريف لا يستقيم به الوزن وفيها « في محل عاقل »
٢ ــ الاحاطة « وقفاً لها » .

(٥٤)

وله من قصيدة مطولة أولها : (من المتقارب)

لعل بشير الرضى والقبول يعلل بالوصل قلب الخليل

(٥٤) نفح الطيب ٢/ ٤٨٧

(٥٥)

لما وصل ابن جبير إلى مكة في ١٢ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ هـ أنشد قصيدته التي أولها :

(من المتقارب)

١ ـ بلغتَ المنى وحللت الحرَمْ فعاد شبابك بعد الهرَم
٢ ـ فأهلاً بمكةَ اهلاً بهـا وشكراً لمن شكرُه يلتزم

وهي طويلـة وآخرها :

٣ ـ نبيّ شفاعته عصمـة فيوم التّنادى به يعتصم
٤ ـ عسى ان تُجاب لنا دعوة لديه فنكفى بها ماأهـم
٥ ـ ويرعى لزوّاره في غـدٍ ذماماً فما زال يرعى الذّمم
٦ ـ عليه السلام وطوبى لمـن المّ بتربتـه فاستلـم
٧ ـ اخي كم نتابع اهواءنـا ونخبِط عشواءها في الظُّلم
٨ ـ رويدك جرت فعجْ واقتصدْ امامك نهجُ الطريق الأعمْ
٩ ـ وتُبْ قبل عضّ بنانِ الأسي ومن قبل قرعك سنّ النـدم

ومنها :

١٠ ـ وقل ربّ هبْ رحمةً في غد لعبدٍ بسيما العُصاة اتسم
١١ ـ جرى في ميادين عصيانـه مسيئاً ودان بكفر النّعـم
١٢ ـ فيا ربَّ صفحك عما جنى ويارب عفوك عما اجترم

---

(٥٥) نفح الطيب ٢/ ٤٩٢ ـ ٤٩٤ .

٩ ـ في البيت اقتباس من المثل « قرع سن الندم » المستقصى ٢/ ١٩٦ .

قال يحرض السلطان صلاح الدين الأيوبي على النظر فيما ظهرت من البدع بالمدينة على دفينها الصلاة والسلام (*)

(من الوافر)

١ ـ صلاح الدين انت له نظام   فما يخشى لعروته انفصامُ
٢ ـ فأظهرْ سُنة الله احتساباً   فقد ظهرت بها البدعُ العظام
٣ ـ وفي دين الهدى حدثت امور   بها للدِّين حزن واغتمام
٤ ـ جديرٌ ان يقام لها ارتماضاً   مآتم للورى فيها التدام
٥ ـ وكيف يلذّ للأجفان نومٌ   وللاسلام جفنٌ لاينام
٦ ـ وكيف تطيب في الدنيا حياة   وطيبةُ لا يطيبُ بها مُقام
٧ ـ بتربتها رسول الله ثاوٍ   وليس لأهلها منه احتشام
٨ ـ لو اخترموه هابوه يوماً   لكانَ لصحبه معه احترام
٩ ـ وهل يرضى صلاتهم عليه   اذا سُبّتْ صحابتُه الكرام
١٠ ـ بأم المؤمنينَ قد استهانوا   وللصدّيق والفاروق ذاموا
١١ ـ عزوا بعد النبيلهم ضلالاً   لقد ضلّ الغواةُ ما استقاموا
١٢ ـ و سنته اضاعوها امتهاناً   فما لهم بواجبها اهتمام
١٣ ـ وليسَ يدلّ عندهم سوى من   له بجميلِ مذهبها ارتسام
١٤ ـ وما يرعونَ ذمّةَ زائريه   وللذِّمي قد يُرعى الذّمام
١٥ ـ ومسجدُه المباركُ عاد سوقاً   لهم فيها على اللّهو ازدحام
١٦ ـ يعيدُ به الصّلاة مؤذنوه   وما بأمامهم لهم ائتمام
١٧ ـ اذا قاموا لها قاموا كسالى   على كره كأنّهم نيام
١٨ ـ يضيعون المواقيت اقتصاداً   ليعدِم للصلاةِ به انتظام
١٩ ـ وروضته المقدّسة استباحوا   مهابتها فأدمعها سجام
٢٠ ـ أذا حفّوا بها لعبوا ازدراءً   وكان لهم بتربتها انتخام

٢١ — وقاموا للسّلام وفيه لَعْنٌ   لقد ساءَ الهدى ذاكَ المَقام
٢٢ — ويَرقى فوقَ منبره خَطيب   له في الدين خَطبٌ لايرام
٢٣ — هو القاضي وحَسبك من قَضاء   له بالجَور في الشّرع احتكام
٢٤ — يغرّهمُ لفاطمة انتساب   وما لهم بحرمتها التئام
٢٥ — وهَلْ يغني انتسابهم اليها   وعن دينِ الهدى لهم انصرام
٢٦ — ونوحٌ لابنه لم يغنِ شيئاً   ولا اغناهُ بالجبل اعتصام
٢٧ — اعزّ الله بالاسلام قوماً   فليسَ له بغيرهم قوام
٢٨ — فذلّت فرقة طعنت عليهم   وهيلَ على أنوفهم الرّغام
٢٩ — وكيف يعزّ عندَ الله قومٌ   ودينُ الله بينهم يضام
٣٠ — نقوم الى الصّلاةِ وهم قعودٌ   ويَعلو عندَها لهمُ الكلام
٣١ — بلعنٍ صمّتَ الآذانُ منه   وسبّ للصحابة يستدام
٣٢ — وتَقرأ بين ايديهم جهاراً   تَوالف كلها زُورٌ سَخام
٣٣ — ويَسعى بينَ أيدينا اعتراضاً   لقطعِ صلاتنا منهمُ طَغام
٢٤ — فلا المأموم يَدرى ما يُصلّي   ولا يَدري بما صلّى الإمام
٣٥ — تَراهم يَسخرون بنا احتقارا   وللأحقادِ عندَهم احتدام
٣٦ — ويعتقدوننا نَجساً خبيثاً   فليسَ لهم لجانبنا انضمام
٣٧ — يرونَ الجَمع للاختين حلاً   وتعطى البنتُ ما يَرث الغلام
٣٨ — وما التّجميعُ عندَهم بشَرعٍ   لقد تاهوا بباطلهم وهاموا
٣٩ — يُقيمونَ الصّلاةَ وهم فُرادى   لقد شردوا كما شرد النّعامُ
٤٠ — وليسَ لهم من الاسلام حظ   ولو صلّوا مدى الدّنيا وصاموا
٤١ — ومن قد خالفَ السّلف ابتداعاً   أتنفعه الصّلاة أَو الصّيام
٤٢ — لقد مَرقوا من الدّين اعتداء   كما مَرقتْ من المرمى السّهام

٤٣ ــ لهمْ من أهل مذهبهم شيوخٌ أقاموا بينَ أظهرهم ودَاموا
٤٤ ــ فكم غمر أضلُّوا واستزلّوا فحُمّ على الضّلاّل له الحِمام
٤٥ ــ وكم غرٍ ببذلِ المال غرّوا فكانَ على الحُطَام له انحِطام
٤٦ ــ فأضرم بالمدينة نار غيّ أبت الا يَزالَ لها اضطِرام
٤٧ ــ وأوسع اهلها بِراً وُبراً فكان لَهم على الغيّ اقتحام
٤٨ ــ فَما يُرجى لهم أبداً فَلاح ولا رشدٌ وهل يُرجى الجَهام
٤٩ ــ وما لهم الى خيرٍ مضاءٌ مدى الدّنيا وهل يَمضي الكَهام
٥٠ ــ لَعمُرك إنهم داء عُضَالٌ وما بِسوى الحُسام له انحِسامُ
٥١ ــ ومن لم يرض حكم الله شرعاً فما دَمه لَسافِكهِ حَرَام
٥٢ ــ إذا انحطّ الرَّعية في هَواها ولم تَردَعْ فراعيها يُلام
٥٣ ــ وان نشأت عوارضُ للاعادي فَبرقُ السّيفِ اول ما يُشامُ
٥٤ ــ فأمضِ الهمّة العليا اليهم وجَاهِدْ ايها الملكُ الهُمام
٥٥ ــ وأرض المُصطفى في صاحِبيه بنصر لايفلّ له اعتِزام
٥٦ ــ أتاكَ رضاه عفواً فاغتنمه لما ترجو وحقّ له اغتنام
٥٧ ــ أيقبَلُ منك عندَ الله عُذر ومالك من اعادِيه انتقَام
٥٨ ــ وما نالَ الحجاز بكم صَلاحاً وقد نَالته مِصرٌ والشّام
٥٩ ــ ولولا هَيبةٌ لدفينهم لم تُحجّ الكعبة البيت الحرام
٦٠ ــ فإن اسلمتَ دِين الله فيها على الدُّنيا وساكنها السّلام

---

(٥٦) الذيل والتكملة ٦١٧/٢/٥ - ٦٢٠ « ١ - ٦٥ » ، نفح الطيب ٣٨٤/٢ « ٥٧ »

٤ ــ ارتمض فلان من كذا : أشتد عليه واقلقه ، وارتمض له : حدب له ، التدم : اضطرب

١٧ ــ في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى « واذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » النساء ١٤٢

٢٠ ــ تنخم : دفع بشيء في صدره أو انفه

٥٠ ــ الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه

٥١ ــ الكهام : السيف الكليل .

(٥٧)

وقال وقد تحرك للرحلة الحجازية : (من الوافر) .

١ ـ أقول وقد دعا للخير داعٍ حَننتُ له حَنينَ المُستَهام
٢ ـ حَرام أن يَحل بـي اعتياض ولم ارحَلْ الى البيتِ الحَرام
٣ ـ فلا طَافَتْ بي الآمالُ ان لم أطف ما بينَ زَمزَم والمقامَ
٤ ـ ولا طَابت حَياةٌ لي اذا لم أزرْ في طَيبةَ خيرَ الأنـام
٥ ـ فأهديه السّلام وأقتضيه رِضا يُدني الى دارِ السّلام

(٥٧) زاد المسافر ١١٥ ، نفح الطيب ٢/ ٤٩٣
٢ ـ النفح « ان يلذ لي اغتماض » والاعتياض : طلب العوض
٣ ـ النفح « ولا طافت »
٥ ـ النفح « وأهديه »

«النون»

(٥٨)

وقال يهنيء حجاجاً اجتمع بهم في مكة ـ شرفها الله ـ وتشوق اليهم :

(من الرمل)

١ ـ ياوفودَ الله فُزتُم بالمُنى فهنيئاً لكم أهلَ منـى
٢ ـ قد عرَفنا عرفاتٍ معَكُمْ فلهذا برّحَ الشـوقُ بنـا
٣ ـ نحنُ بالمغرب نُجري ذِكركم فغُروبُ الدّمع تَجري هتّنا
٤ ـ أنتمُ الاحبابُ نشكو بعدكم هل شكوتم بُعدنا من بَعدنا
٥ ـ علّنا نَلقَى خيالاً منكم بلذيذ الذّكر وَهْناً علّنا
٦ ـ لوحنا الدّهر علينا لقَضى باجتماعٍ بكمُ في المنُحنى
٧ ـ لاحَ برقٌ موهِناً من ارضكم فلعَمري ماهَنا العَيشُ هنا
٨ ـ صدَعَ اللّيلُ وميضاً وسَناً فأبَينا ان نَذُوقَ الوَسَنا
٩ ـ كم جَنى الشوق علينا من أسى عاد في مَرضاتكم حلو الجنى
١٠ ـ ولكم بالخيف من قلب شجٍ لم يزل خوفَ النوى يَشكو الضنى

١١ ــ ما ارتضى جانحةَ الصدرِ له   سَكناً منذ به قد سكنا
١٢ ــ فيناديهِ على شحْطِ النّوى   من لنا يَوما بقلبٍ ملّنا
١٣ ــ سِرْبِنا ياحادي العيس عَسَى   أن نلاقي يومَ جمع سِرِبَنا
١٤ ــ ما عَنى داعي النّوى لمادعى   غيرَ صَبّ شَفّه بَرح العَنا
١٥ ــ شِمْ لنا البَرقَ اذا لاح وقلْ   جَمَعَ الله بجمعٍ شَمْلَنا

(٥٨) المغرب : ٣٨٥/٢ « ١ ــ ٣ » الذيل والتكملة ٦١٤/٢/٥ « ١ ــ ١٥ » نفح الطيب ٤٨٦/٢ ــ ٤٨٧ « ١ ــ ٧ » (١٢ ــ ١٥)

٢ ــ المغرب والنفح « عرفات بعدكم »

٣ ــ النفح « نحن في الغرب ويجري ذكركم بغروب » المغرب : « وغروب الدمع تجري بيننا »

٦ ــ النفح « بالمنحنى »

٧ ــ النفح « من نحوكم »

١٢ ــ الشحط : البعد

١٣ ــ النفح « ياحادي الركب »

١٤ ــ النفح « مادعا »

١٥ ــ الذيل « إذا هب » وشام البرق : نظر إلى سحابته اين تمطر .

(٥٩)

وقال يتشوق لوطنه :

(من التقارب)

١ ــ غريبٌ تذكّر أوطانه   فهيّج بالذكرِ اشجانه
٢ ــ يحلّ عرى صبره بالأسى   ويعقد بالنّجمِ أجفانه
٣ ــ ويرسلُ للغرب من دَمعه   غروباً لتَسقي سكّانه

(٥٩) زاد المسافر ١١٥ « ١ ــ ٢ » المغرب ٣٨٥/٢ « ١ ــ ٣ » نفح الطيب ٣٨٤/٢ « ١ ــ ٣ »

٢ ــ المغرب « يحل جواه عقود العزاه »

(٦٠)

وقال وقد شهد العيد بطندقة من قرى مصر :

(من الطويل) .

١ــ شَهدنا صَلاة العيد في ارض غربةٍ بأحواز مصر والأحبة قد بَانوا
٢ــ فقلت لخلّي في النوى جُد بدَمعةٍ فلَيس لنا الا المدامعَ قُربانُ

(٦٠) رحلة العبدري ٧١ ، نفح الطيب ٢/٤٩٢
٢ – النفح « جد بمدمع » .

الهاء

(٦١)

قال في الحكمة والخلق الاسلامي :

(من الطويل)

١ــ تَنزّة عن العوراء مهما سمعتها صيانةَ نفس فهو بالحرّ أشبه
٢ــ اذا انت جاوبت السفيه مشاتماً فمن يتلقى الشّتم بالشّتم أسفه

(٦١) نفح الطيب ٢/٤٨٥

(٦٢) الياء

قال في ذم الفلاسفة :

« من المجتث »

١ ــ قـل للزنادقِ عنّـي قَولا هو السيفُ أُمضيه
٢ ــ أرسلتُ شِعري فيكم يَغزوكم بقَوافيه
٣ ــ صَدَعت لله فيه بالحق والحقُّ يُرضيه
٤ ــ كم ظاميءٍ لكلامي يَرويه عَجباً فَيرويه
٥ ــ وكمْ غَليل فؤاد بصحة القول يَشفيه
٦ ــ وراكبٍ لهواه عَساه يَوماً سَيُثنيه
٧ ــ لعلكم أنْ تَقولوا فإنكّم أهل تَمويه
٨ ــ من كانَ جاهلَ شيء فلا يَزالُ يُعاديه
٩ ــ هَيهاتَ بغضيٍ فيكم في الله والله يَدريه
١٠ ــ وذلكَ العِلمُ عِندي لاخيرَ فيكمْ ولافيه

(٦٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٢

(٦٣)

وقال في جارية تركها بغرناطة : (من مخلع البسيط)

١ ـ طُول اغتراب وبَرح شَوق ِ لاصَبْرَ والله لي عَلَيه

٢ ـ اليكَ اشكو الّذي أُلاقِي ياخَيْرَ من يُشتكى إليه

٣ ـ ولي بِغرناطة ٍ حَبيب قد غلّقَ الرَّهنَ في يَدَيْه ِ

٤ ـ ودَّعته وهو بارتماض يَظهر لي بعضَ مالديه

٥ ـ فلو تَرى طَلَّ نَرجسيه ُ يَنْهَلُ في ورد ِ صَفحتَيه

٦ ـ أبصرتَ دراً على عَقيق ِ من دَمعِه فوقَ وَجنتَيه ِ

(٦٣) المغرب ٢/ ٣٨٤ – ٣٨٥ ، نفح الطيب ٣٨٦/٢

٤ – النفح « وهو في دلال » والارتماض من قولهم : ارتمض فلان من كذا بمعنى اشتد عليه واقلقه

٥ – النفح « في ورد وجنتيه »

٦ – النفح « فوق صفحتيه »

(٦٤)

قال لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفاً : (من المقارب)

١ ـ بدَتْ لي أعلامُ بيتِ الهدى بمكةَ والنور باد ٍ عَليه

٢ ـ فأحرمت شوقاً له بالهوى وأهديت قلبي هَدْياً إليه

(٦٤) نفح الطيب ٢/ ٣٨٤

(٦٥)

ومن أبدع ماأنشده اول رحلته الى الديار المقدسة :

(من الخفيف)

١ ـ طالَ شَوقي الى بقاع ٍ ثَلاث لاتشدّ الرِّحالُ الا اليها

٢ ـ إنَّ للنفس ِ في سَماءِ الأماني طائراً لايَحوم الا عليها

٣ ـ قُصَّ منه الجَناحُ فهو مَهيضٌ كلَّ يَوم ٍ يَرجو الوقوع لديها

(٦٥) نفح الطيب ٢/ ٤٨٨

١ – في البيت اقتباس من الحديث الشريف « لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » صحيح البخاري /٢/ ٧٣ »

(٦٦)

وقال يذم الفلاسفة :

(من المجتث)

١ — الذيـن يشكـو بَليّـه   مـن فِـرقـة منطِـقيـه
٢ — لايشهـدون صـلاةً   الا لمعنـى التّـقيـه
٣ — ولا تـرى الشّـرع الا   سياسـة مـدنيـه
٤ — ويـؤثِـرونَ عَـليـه   مـذاهبـاً فلسـفيـه

(٦٦) الذيل والتكملة ٥/٢/ ٦١١ — ٦١٢

(٦٧)

وقال ابن جبير في رحلته :

(من مجزوء الخفيف)

١ — سيكون الـذي قُـضـي   سَخِـط العَـبـد او رَضِـي

(الألف)

(٦٨)

قال حين دخل بغداد فاقتطع غصناً نضيراً فذوى في يده :

(من مجزوء الرجز)

١ — لاتغتـرب عـن وطـنٍ   واذكر تصاريـفَ النّـوى
٢ — امـا تـرى الغُـصن اذا   مـافـارقَ الأَصـلَ ذَوى

(٦٧) رحلة ابن جبير ٢٨٩ .
(٦٨) نفح الطيب ٢/ ٣٨٢

المصادر والمراجع

١ ـ الاحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) حـ١ ـ ٢ ط مؤسسة الخانجي القاهرة سنة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.

٢ ـ أدب الرحلات في الاسلام، احمد أبو سعد مقال بمجلة الثقافة العربية العدد ٩ السنة الثالثة ايلول ليبيا ١٩٧٦ .

٣ ـ ادب الرحلة عند العرب ، الدكتور حسني محمود حسني ، المكتبة الثقافية رقم ٣٣٥ القاهرة ١٩٧٦

٤ ـ انوار الربيع في انواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) تحقيق شاكر هادي شكر طه النعمان النجف ١٩٦٩ م .

٥ ـ ايضاح المكنون ، اسماعيل باشا جـ١ مكتبة الاسلامية والجعفري تبريزي. طهران ١٩٤٧

٦ ـ بدائع البدائه ، ابن ظافر الأزدي (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . ط١ الانجلو مصرية القاهرة ١٩٧٠م .

٧ ـ التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، الدكتور عبد الرحمن الحجي ط١ دار القلم دمشق ١٩٧٦م .

٨ ـ تاريخ الادب الجغرافي، اغناطيوس كراتشكوفسكي ط ١ ـ ٢ ترجمة صلاح الدين عثمان لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧.

٩ ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، الدكتور حسين مؤنس معهد الدراسات الاسلامية مدريد ١٩٦٧ م

١٠ ـ تاريخ الفكر الاندلسي ، بالنثيا ترجمة الدكتور حسين مؤنس ط١ النهضة المصرية ١٩٥٥ م .

١١ ـ تاريخ الموسيقى العربية هـ،ج فارمر ترجمة الدكتور حسين نصار مراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني مكتبة مصر بالفجالة ب.ت

١٢ – تراجم رجال القرنين السادس والسابع »(ذيل الروضتين)، ابو شامة المقدسي ط بيروت
١٣ – التعريفات ، ابوالحسن الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨م القاهرة
١٤ – التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي (ت ٦٥٩هـ) ط العطار ١٩٥٥ م
١٥ – التكملة لوفيات النقلة، ابو محمد المنذري (ت ٦٥٦ هـ) جا – ٨ تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ط الاداب النجف ١٩٧١م
١٦ – الحلل السندسية، شكيب ارسلان ط دار مكتبة الحياة بيروت ب.ت
١٧ – دائرة المعارف الاسلامية، مجموعة المستشرقين ترجمة محمد الفندي – احمد الشنتناوي – ابراهيم خورشيد ١٩٣٣م.
١٨ – ديوان ابن رشيق القيرواني، جمع وتحقيق عبدالرحمن ياغي – دار الثقافة بيروت .
١٩ – الذيل والتكملة، ابن عبدالملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)
السفر الاول بقسمين تحقيق محمد بن شريفة دار الثقافة بيروت
بقية السفر الرابع تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٦٤
السفر الخامس بقسمين احسان عباس بيروت ١٩٦٥
السفر السادس احسان عباس بيروت ١٩٦٥
٢٠ – الرحالة المسلمون في القرون الوسطى، الدكتور زكي محمد حسن دار المعارف ١٩٦٥ م القاهرة
٢١ – رحلة ابن جبير، تحقيق الدكتور حسين نصار، مكتبة مصر ١٩٥٥م
٢٢ – رحلة ابن جبير تقديم محمد مصطفى زيادة دار التحرير القاهرة ١٩٦٨
٢٣ – رحلة ابن جبير، دار صادر ودار بيروت بيروت ١٩٦٤م
٢٤ – رحلة ابن جبير، الدكتور حسين نصار مقال، بمجلة تراث الانسانية المجلد ١ وزارة الثقافة والارشاد . القاهرة ب.ت.

٢٥ ــ رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، العبدري (ت بعد ٦٨٨هـ) تحقيق محمد الفاسي سلسلة الرحلات ٤ حجازية ١ المغرب ب. ت
٢٦ ــ رحلة العبدري، العبدري. ط البعث قسطنطينة كلية الآداب الجزائر ب. ت
٢٧ ــ الرحلات، الدكتور شوقي ضيف سلسلة فنون الادب العربي ، الفن القصصي ط٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٦م
٢٨ ــ الروضتين في اخبار الدولتين، شهاب الدين ابو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) دار الجيل بيروت ط وادي النيل القاهرة ١٢٨٨هـ
٢٩ ــ سنن ابي داؤد، ابو داؤد الأزدي السجستاني والبابي الحلبي القاهرة ١٩٥٢م
٣٠ ــ شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) . المكتب التجاري بيروت
٣١ ــ الشعر في عهد المرابطين والموحدين، الدكتور محمد مجيد السعيد اطروحة دكتوراه جامعة القاهرة ١٩٧٧
٣٢ ــ ابن صارة الاندلسي حياته وشعره (ت ٥١٧هـ) الدكتور مصطفى عوض الكريم ط مصر. الخرطوم
٣٣ ــ صحيح البخاري ، البخاري ط محمد علي صبيح واولاده القاهرة
٣٤ ــ صحيح مسلم، مسلم ط دار احياء الكتب العربية ١٩٥٥ القاهرة
٣٥ ــ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ) ط الحسينية القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .
٣٦ ــ غاية النهاية، ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) جا ــ ٢ نشرة ج ــ برجستر آسر ط الخانجي القاهرة ١٩٣٣م .
٣٧ ــ في التاريخ العباسي والفاطمي، الدكتور احمد مختار العبادي ــ دار النهضة بيروت ١٩٧١

٣٨ـ فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) جـ١ ـ ٤ تحقيق الدكتور احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٧٤م.

٣٩ ـ قدماء ومعاصرون، الدكتور سامي الدهان دار المعارف بمصر ١٩٦١م.

٤٠ ـ كشف الظنون، حاجي خليفة الكاتب الجلبي (ت ١٠٦٧هـ) ط الاسلامية طهران ١٩٤٧م

٤١ ـ مجمع الأمثال. الميداني (ت ٥١٨هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط٣ دار الفكر بيروت ١٩٧٢ .

٤٢ ـ المستقصى في أمثال العرب. الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان ط العثمانية. حيدراباد. الهند ١٩٦٢.

٤٣ ـ معرفة القراء الكبار ، الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق سيد جاد الحق ط ١ دار الكتب الحديثة القاهرة ب.ت.

٤٤ ـ المغرب في حلى المغرب، ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت ٦٧٢هـ) جـ١ ـ ٢ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٤م

٤٥ ـ المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨هـ) اختيار ابي اسحاق البلقيفي تحقيق ابراهيم الابياري ط الاميرية القاهرة ١٩٥٧م

٤٦ ـ النجوم الزاهرة ابن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) ط المؤسسة المصرية العامة القاهرة ب.ت .

٤٧ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ط١ دار صادر بيروت ١٩٦٨

٤٨ ـ النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب . الدكتور جمال الدين سرور ط ٤ دار الفكر العربي ١٩٦٤م.